حكايات في التوكتوك



المقدمة

هي مواقف حياتية مسجلة ترصد صورا من الحياة في مصر و بخاصة في زمن ما بعد الثورة والانفتاح الثقافي والتكنولوجي على العالم ،والذي مرت به مصر وشبابها من خلال شبكات التواصل الاجتماعي .

اضطرتني الظروف الاقتصادية بعدما قضيت في وزارة التربية والتعليم أكثر من ثلاثين عاما ،إلى العمل "سائق توكتوك" لتلبية احتياجات الأسرة ،بعدما كبر الأبناء وكثرت مطالبهم ولم يعد الراتب يكفي .

كنا صغارا نضحك ملء أفواهنا على نجيب الريحاني " أستاذ حمام " في فيلم " غزل البنات " عندما صور ببراعة فائقة حال المعلم زمن الملكية ، وراتبه الذي لا يكفيه وأن راتب مربي الكلاب أكبر من راتب مربي الأجيال عند الباشا.

وهي حرفة لم أمتهنها بإرادتي بل دفعتني الظروف إليها دفعا.

في البداية تعثرت كثيرا ثم بالممارسة أجدتها وأحببتها ،رأيت فيها بلدي وضواحيها ، رأيت ناسها بطباعهم وأحوالهم ، رأيت العزب والنجوع[1] والحواري ،رأيت العمارات العالية والفلل الحديثة والبيوت المتواضعة والحقول الممتدة ،رأيت الشعب بمعظم طوائفه وخصاله الحسنة منها والسيئة .

تعال معي عزيزي القارئ لتعيش بخيالك هذه اللحظات المصورة بقلمي المتواضع.

المؤلف

دسوقي السيد حسن

[1] جمع نجع وهي القرية الصغيرة وتسمى ايضا الكفر

تنويه هام

أي تشابه في الأسماء أو الأحداث أو الأماكن

ليس المقصود به أشخاص بعينهم ولكنه من قبيل الصدفة ومن خيال المؤلف وليس علينا أدنى مسئولية تجاه ذلك .

.... المؤلف

إهداء

إلى والدي الحبيب .....

أهدي كتابي هذا ....

إلى مَنْ قاسى متاعب الحياة

ليوفر لنا حياة كريمة ..

الذي علمني أن الحلال يربي العيال ..

وأن الدنيا فترة اختبار ..

وفي الجنة الراحة الأبدية التي لا تزول .

قمتُ بتركيب " بازوكا "[1] ،ووضعت على " الميموري " بعضا من سور القرآن الكريم بصوت كبار القراء ،وتواشيح النقشبندي وطوبار ، وأغاني الست وفيروز وسعاد محمد ،و حلقات مجمعة من البرنامج المضحك " ساعة لقلبك " ؛ لتسلية الزبائن الذين كان معظمهم في عجلة من أمرهم .

طحنتهم الحياة بسرعتها فلم يلحظوا جمالها ،ولم يستمتعوا بأوقاتهم كما ينبغي .

ما أجمل الحياة !

بحُلوها ومرها بشقائها ونعيمها ، بالسعي على الرزق طلبا للحلال الذي يبقى وينفع .

يوم السوق

يوم الاثنين من كل أسبوع يقام بالقرية التي أسكن فيها سوق للخضار ،صحوت مبكرا لأعمل قليلا قبل الذهاب إلى المكتب

[1] سماعة صغيرة

رأيتها تقف في مدخل السوق يبدو عليها الحزن ورقة الحال ،أشارت لأكثر من توكتوك فلم يتوقف لها أحد .

عجوز خَطَّ الشيبُ في شعر رأسها ، ونحت الزمن في جلد وجهها تجاعيد كأنها أخاديد عميقة ،على ذقنها وشم أخضر قديم رق قلبي لحالها فتوقفت لها .

- صباح الخير يا أمي ..
- قالت بلهجة صعيدية محببة ...صباح النور يا ولدي ..

تعجبت لحالها ! لم يكن معها شيء يذكر

قلت في نفسي : لماذا لم تشترِ شيئًا من السوق ؟!

- على فين يا أمي ؟
- القنطرة يا ولدي ،بس عاوزاك تعدي الأول على فرن فينو
- أومَّال كنتي بتعملي إيه في السوق ؟
  مش شايف معاكي حاجه يعني !
- كنت ببيع حاجة وراجعة يا ولدي .

ثم أردفت : أنا جَدَّة لثلاثة من الأطفال الصغار وأبوهم محبوس ،وأنا يا ولدي اللي بسعى عليهم ، أجمع العيش القديم من البيوت والأفران وأنشفه وأبيعه في السوق ؛ ونفسهم في الفينو.

كانت أول زبون يركب معي ،لاحظت الصليب على يدها.

- بركاتك يا ستنا العذراء.

مررت بفرن " ..... " اشتريت فينو وقرص بالعجوة ووضعتها في الكيس ،لم يكن معي سوى ١٠ جنيهات وأوصلتها "خليج اسحاق " أصرَّت أن آخذ مالا فرفضتُ .

- ادعي لي يا أمي .
- روح يا ولدي ربنا يفتحها عليك ويرزقك برزق عيالك.

كان يوما عجيبا ! لم أعمل فيه لمدة طويلة كبقيه الأيام ، لكن الزبائن كانت تتسابق على الركوب معي ،فلا يكاد راكب ينزل

حتى يصعد غيره، وإذا مررنا بزبون في الطريق طلب مني الراكب الذي معي أن أتوقف له ليركب معنا على غير العادة.

في نهاية اليوم رجعت ومعي مبلغ من المال لم أُحَصِّل مثله منذ عملت بهذه الحرفة التي احترفتها على غير إرادتي.

بركاتك يا طاهرة ..

أن رآه استغنى

- مساء الخير يا باشمهندس سيد .
- أهلا يا أستاذنا الغالي خير إن شاء اللّه .
- يا أخي الإضاءة بتاعة التوكتوك مهستكه شويه فقلت أركِّب كشافين LED زي باقي الشباب اللي مركبين كشافات تعمي العين .
- هههههه .. أخيرا فكرت تغير الكشافات .
- مرغم يا هندسة مبقتش بشوف الطريق بالليل .
- حاضر ،هخلص الموتوسيكل اللي في إيدي ،وأركبهم وبالمرة أشوف البطارية أخبارها إيه... تشرب شاي معايا ؟
- أنت في كل مرة كده عاوزني أعمل لك شاي بإيدي !
- طب ما أنت عارف يا أستاذ كوباية الشاي من إيدك حاجة ثانية .
- ماشي يا هندسة .. فين الكاتيل بقى بتاعك ؟

قلت محدثا نفسي :

- أيوه كده .. الإضاءة تمام والشارع بقى زي الظهر ،اللّه ينور عليك يا أبو السيد يا معلم .

أَفَقْتُ[1] على تجمع من الناس يسد الطريق ...

- إيه اللمة اللي هناك دي وقافلة الشارع ؟!
عاوزين نشوف أشغالنا كفاية عطلة بقى!!

عندما اقتربت من خناقة في آخر الشارع ،وجدت من يشاور لي فتوقفت .

- خير يا فلان ؟
- كويس إنك موجود يا أستاذ ، خذ المدام وابنها ووديهم مركز الشباب وأنا جاي وراكم.

كانت الزوجة الشابة تبكي وتضرب بيديها على صدر زوجها الذي كنت أعرفه منذ زمن بعيد ،وتتوسل إليه:

- تعالى معانا .. أنا مش هسيبك تروح معاها !!

---

[1] تنبهت

كانت بالقرب منا سيارة حديثة متوقفة ،وداخلها فتاة أخرى تضع مكياجا صارخا وتلوك[1] في فمها لبانة بطريقة قذرة ،يوحي منظرها أنها " بنت ليل " يجلس بجوارها في كابينة القيادة شاب من أبناء البلد ؛الذين صعدوا على السطح من تجارة العملة والبرشام المستورد من الصين .

ركبتْ الزوجة الشابة وطفل في الثالثة من عمره معي ،بعد توسلات عديدة من زوجها الشاب ..

ولما تحركتُ .. إذ بها تنهار في بكاء مرتفع .

- وحِّدي اللّه يا بنتي .. مالك ؟
- فانفجرت شاكيةً : أنتَ تعرف زوجي فلان ؟
- أعرفه من زمان .
- شوفت اللي راكبة في العربية معاه ؟
- شوفتها .. شكلها مش كويسة !

---

[1] تمضغ

- دي واحدة صايدنها هو وصاحبه ،وبيوزعني عشان يخلى له الجو .

نظرت إليها كانت بالفعل شابةً فاتنة قمة في الأنوثة والجمال الطبيعي بدون رتوش .

قلت في نفسي :

- ده أكيد أعمى !!

بقى يسيب القمر ده .. ويجري ورا البقرة المبعجرة اللي ملطخة وشها بالألوان .

يبدو أن صوتي كان عاليا فسمعت كلامي .

ضحكت وهي تمسح دموعها ثم قالت :

- ماذا أفعل دبرني يا والدي ؟

يعني أروح مركز الشباب لوحدي ،وأتعرض للمعاكسات وهو هايص .

- أنتِ زي بنتي ما تزعليش نفسك .

ذهبنا إلى محل "... " للآيس كريم ،سلمتُ عليه .. كنت أعرفه و درَّستُ لأولاده، رحب بنا فأخبرته أنها أختي الصغيرة ،وفيه مشاكل مع جوزها وأنا أحاول أن أُعقِّـلْها أحضر لنا عصيرا طازجا وآيس كريم للطفل ،جلسنا دقائق على ترابيزة جانبية بدأت تشكي حالها مع زوجها :

- تغير حاله بعدما جريت الفلوس في ايديه ؛ من تجارة العملة والبرشام فصار يشرب ويصاحب الساقطات .

كانت في قمة ضعفها يتساقط دمعها ،تخنقها العبرات[1] ، ولا تسعفها الكلمات ، ولا تجد من تشكو إليه، كونها يتيمة.

صارحتها بأن الخطأ بدأ من عندها ..

تعجبت ..

- إزاي ؟ !!

---

[1] الدموع

- الراجل يا بنتي بيحب دايما التجديد،غيري من طريقة تعاملك معاه مرة تقبلي وأخرى تتمنعي ، لا تكوني سهلة أمامه ،إلبسي له اللي بيحبه ، كل يوم يشوفك واحدة جديدة،لا تهملي زوجك ولا ابنك ، وأنت ما شاء اللّه مش ناقصك حاجة .

ذكَّرتها أن اللّه سوف يكرمها إذا حافظت على الصلاة .

شكرتني ،ثم أوصلتها إلى بيتها ، نصحتها بعدم إحداث مشاكل معه كأن شيئا لم يكن ، قابلته بعد يومين جالسا أمام محله ،فأوقفني وشكرني .

- قلت له ناصحا :

اِحمد ربنا إنها ركبت معايا ،أنتَ عمَّال تهلّس برَّه بيتك و بتدفع فلوس وربنا ساترها معاك لحد دلوقتي ،حافظ على عيالك وبيتك ،دي بنت ناس ويتيمة .

ثم يا أخي .. حد يسيب القمر دي، ويجري ورا بقرة بالألوان.

ضحك وشكرني ،وقال :

- توبة واللّه يا أستاذ أنت عارف أصحاب السوء .
- افتكر أنت كنت إيه في الأول ،ربنا أكرمك بالمال والزوجة الصالحة الجميلة ،اشكر ربنا عشان النعمة ما تزولشي من وشك .

" كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى "

صدق اللّه العظيم.

رزقك بينادي عليك

كنت كثيرا ما أتوقف أمام مستشفى القنطرة غرب ،قبل أن ينقلوا الموقف بالقرب منه ؛ لأسترحْ قليلا وأدخل الحمام تاركا التوكتوك في حراسة أمن المستشفى ،وكان بعضهم من طلابي السابقين ، وكان معي زميل في الإدارة التعليمية ، شكا لي ضعف المرتب وكثرة المصروفات، فاقترحت عليه قيادة توكتوك ،وكنت أنقل له خبراتي السابقة طوال عامين ، وأماكن الوقوف .

جاء بعدي ووقف خلفي في الصف ،خرجت ممرضةً جميلةً ورشيقةً من المستشفى ، وأشارت لي فطلب هو مني أن يوصلها ،ضحكتُ وقلت :

- ماشي يا عم ،حلال عليك !

انطلق بسرعة ،بينما ظللت واقفا أنتظر زبونا آخر

ثم خرجت من المستشفى امرأة شابة تحمل طفلا يضع جبساً

حول قدمه .

- ممكن يا حاج توصلني "...."[١]
- هتدفعي كام ؟
- اللي تقول عليه .
- ٢٠ جنيه .
- موافقة .

فتحركتُ ثم توقفنا أمام إحدى الصيدليات ، نزلتُ واشتريتُ لها دواء ،كان الوقت قبيل المغرب بساعة في يوم ربيعي منعش ،قدتُ التوكتوك بسرعة متوسطة محاولا تفادي المطبات في الطريق ؛ حتى لا يتألم الطفل ،الذي نام في حجر أمه ،التي بدا عليها الحزن لما أصاب طفلها خاصة أنَّ العيد على الأبواب طمأنتها أن عظام الأطفال تلتئم بسرعة

انتهى الطريق المرصوف ،ثم انحرفتُ يسارا وسلكت طريقا ترابيا ،على حافة مصرف زراعي كبير، ثم انحرفتُ يسارا مرة

[١] عزبة زراعية على بُعد مسافة ٧ كيلو تقريبا من القنطرة.

أخرى ،في طريق ترابي فرعي ملتو كثعبان ضخم بين المزارع والحقول والبيوت المتناثرة على جانبيه ،لم أسلُك هذا الطريق الترابي من قبل ، سرنا مسافة طويلة، فأذن المغرب وبدأ الظلام في بسط نفوذه ، أشعلت مصابيح التوكتوك وأخيرا ظهر البيت بالقرب من مزرعة كبيرة للدواجن ،نزلَتْ حاملةً طفلها ودخلتْ المنزل ،ثم خرجت فتاة صغيرة ذات ضفائر طويلة وثياب ريفية جميلة ،ترحب بي، ثم جاءت جَـدَّة عجوز :

- اتفضل يا ابني .

شكرتها ..

تأخرتْ المرأة كثيرا ظننت أنها ليس معها ثمن التوصيلة فاستأذنت من العجوز :

- كل عام وأنتم بخير .. السلام عليكم .

وبدأت في الانصراف والعودة.

- صاحت الجدَّة :

انتظر يا ابني ، البنت جاية حالا .

نادتْها فظهرت أخيرا حاملةً جوز فراخ بيضاء ،ووضعت في يدي ٥٠ جنيها .

- ده كتير خالص .
- كل سنة وأنت طيب يا حاج.
- كل سنة وأنتم بخير، وعيد سعيد عليكم .

سبحان اللّه استعجل زميلي على الرزق

والرزق ينادي علي.

لوكان الفقر رجلا !!

عند عودتي من توصيل زبون إلى " عزبة ... "[1] أوقفني عم ... كنت أعرفه جيدا ، فقد عملت لفترة بمدرسة العزبة ودرَّستُ أبناءَه بها ، وكانت تقف معه امرأة كبيرة في السن ،وشابة في الخامسة والعشرين تقريبا ،ظننتهم ذاهبين إلى القنطرة ،كان بخيلا وكنت أعرف فيه ذلك مَدَّ يده في جيبه ، فقلتُ :

- خَـلِّي يا عم الحاج.
- طب متشكرين يا أستاذ .

أُحرجتُ منه ،ثم تحركتُ ، فقالت المرأة :

- نحن ذاهبون الى " أبو خليفة "[2] وهو مشوار طويل يكلف ٤٠ جنيه تقريباً في وقتها. فرجعتُ إليه ، وقلتُ :

---

[1] عزبة على بعد ٢ كم من القنطرة

[2] قرية على بعد ١٥ كم من القنطرة على طريق الاسماعيلية- بورسعيد

- أنا افتكرتهم رايحين القنطرة ،و دي توصيلة طويلة والأجرة كذا .... فقال مستغربا :
- مش أنت قلت خَــلِّي يا حاج ؟!.
- ضحكتُ ....؟؟!!
- فقال : طب وصلهم وأنا هحاسبك.
- سألتُ المرأة : هل تقربين لعم فلان ؟
- قالت : لا ،لكنه يحتاج إلى زوجة تخدمه بعد وفاة زوجته،وسوف أزوجه من ابنتي هذه.
- قلت لها :

حرام عليكِي ده في سن جدها ،ثم ده بخيل جلدة مش هتطولي منه حاجة زي ما أنتِ شايفة ، ليه تدفنيها بالحياة ؟!

- قالت الشابة مصدقةً على كلامي :

حرام عليكي يا أمَّه ترميني للعجوز ده.

نهرتها المرأة وقالت:

- أنتَ تعرفه ؟

- قلت لها :

نعم أعرفه جيدا فقد عملت في مدرسة العزبة لمدة وأعرف كل بيت فيها ،هو بياخد معاش كويس ؛ لكنه بخيل لا ينفق حتى على عياله، وكانت زوجته المريضة تذهب الى إخوتها بالإسماعيلية ؛ ليشتروا لها الدواء لن تأخذي منه شيئا إنَّ أبناءه يتمنون موته حتى يرثوه.

اقتنعت المرأة وشكرتني ،وكانت الفتاة في غاية السعادة تدعو لي :

- ربنا يبارك لك يا حاج في صحتك .

لما عدتُ طالبته بالأجرة ، فقال :

- هل تكلمت مع المرأة في شيء ؟

تهربتُ من الإجابة ، وقلتُ متسائلا :

- هل أخبرتكَ شيئا ؟

- فقال :

لا ،لكنها رفضت طلبا لي عندها ، وكانت موافقة من قبل

ماطلني في الدفع ،فأرسلتُ إليه من أجبره على دفع ٤٠ جنيها ، حتى لا يأكل حقي - أخذتها من عينه كما يقولون .

فقد كانت المرأة تسكن في ضواحي "أبو خليفة " بالقرب من سوق السبت .

عرفت بعدها بفترة، أنه تزوَّج من فتاة في عمر أحفاده ، من محافظة الشرقية رماها حظها التعس في هذا البخيل .

ما أقسى الفقر !

وما أشدَّ البخلَ على النفوس !

حقًّا ..

لو كان الفقرُ رجلا لقتلتُه.

رحـــمـــة

في الأيام الأخيرة من الشهر الفضيل ، تكثر حركة البيع والشراء استعدادا للعيد ، ويحدث رواجا كبيرا في مدينة القنطرة - وهي مدينة تجارية في الأساس - يكثر بها الزحام خاصة أنَّ معظم سائقي التوكتوك يجلبون الزبائن من ضواحي المدينة، إلى الأوكازيون في شارع التحرير. لمحتها من بعيد أوقفتْ أكثر من سائق ، فلم يستجب لها .

كانت معها طفلة صغيرة ،تمسكُ بيديها فستانًا جديدًا، تضمه إليها في سعادة ؛ كأنما الدنيا بين يديها ، وكانت الأم حائرةً يبدو على وجهها القلق والحزن.

اقتربتُ منهما ،فقالتْ :

- ممكن يا حاج توصلني "ضهر الجبل "[1] ؟

- ثم أردفت في حزن وخجل : مفيش معايا غير ١٠ جنيهات.

---

[1] عزبة زراعية على بعد ٣ كم من القنطرة

وافَقْتُ لسببين :

الأول : الابتعاد عن الزحام قليلا ،وما به من احتكاك بالسائقين وسماع ما لا أحب .

والثاني : شفقة بها وبفراشتها الصغيرة .

كانت " رحمة " هكذا نادتها عند ركوبهما التوكتوك تضحك ببراءة أثلجت صدري في هذا اليوم القائظ[1] ،وما سببه من عطش شديد وجفاف في حلقي، طفلة في الثالثة من عمرها تقريبا.

خرجنا بعيدا عن الزحام ، ثم سرنا بين حقول ممتدة من الذهب الأصفر الجميل ، كان القمح قد نضج في سنابله مبشراً بموسم حصاد جيد، كنت أمازح الطفلة الجميلة ،ذات الضحكة الرائعة التي تسعد القلب المحزون ،وكانت الأم تحاول أن تسيطر عليها حتى لا تقع فلم تكن الطفلة تهتم سوى

---

[1] شديد الحرارة

بفستانها الأحمر الجميل ،المزين بالورود البيضاء متشبثةً[1] به كأنما الدنيا بين يديها ، سرنا مسافة بين حقول القمح ،وكان الهواء عليلا مودّعا قيظ الظهيرة الذي شارف على الانتهاء مؤذنا بصلاة العصر ،أخيرا ظهرت عدة منازل متواضعة ،وسط حقول القمح الممتدة.

توقفنا عند منزل ريفي ،أمامه فرن بلدي بالقرب منه حطب ذرة قديم، وعدة عنزات صغيرة جميلة تلعب حول أمها ،على مقربة من كوم كبير من السباخ البلدي،هبَّتْ من عنده لفحة[2] أفسدتْ الجو الجميل المنعش ، رحَّب بنا كلب أليف ، ثم لما نزلت الطفلة بدأ يداعبها ،ويدور حولها ،وهي تحاول الهروب منه ، ولما هممتُ بالانصراف كانت الطفلة تشير نحوي في حزن وبكاء لم أعهده ، أمسكتْ أمها بذراعها وسحبتها بلطف كانت نظرتها محيرةً ، هل كانت تريدني أن أنزل لأكمل اللعب معها؟ .. لا أدري!!

---

[1] ممسكة به
[2] هواء ساخن كريه الرائحة

عرفت أخيرا سبب حزنها .

كنت قد وصلت إلى فتحة عبور الطريق السريع عند مدخل البياضية ، وبينما أنتظر عبور السيارات محاولا تفاديها ،أشار أحد الزبائن ،ولما ركب قال :

- يا أسطى ... فيه فستان صغير وراء الكنبة.

كان " فستان رحمة " كنزها الثمين ، وفرحة العيد التي ستملأ الدار قبل أن تملأ قلبها الصغير .

- قلت : لا حول ولا قوه الا باللّه .

واستأذنت منه حتى أعيد البهجة والسعادة التي سُلبت[١] من هذه الطفلة المسكينة وأسرتها الفقيرة.

نزل على مضض[٢] ،فعدت مسرعا ، كان الطريق يتلوى بين الحقول والأشجار والمصارف كالثعبان الضخم " الأناكوندا " سبقني صوت موتور التوكتوك إلى أذن من بالدار المتواضعة

---

[١] سُرقت من دون قصد

[٢] ضيق

ففتحت الأم الباب ، وخرجت "رحمة " مسرعة تسابق كلبها الصغير، نزلتُ ممسكا بفستانها الجميل ففتحَتْ ذراعيها وجاءت نحوي مسرعةً في سعادة وبهجة ، فحملتها بين ذراعي ،وقبلتها على وجنتيها[١] الورديتين ،وأخيرا نلتُ ما أردتُ ، ضحكتها البريئة الساحرة ومسحت على رأسها وأخرجت مبلغا صغيرا كان معي ووضعتُه في يدها :

- عيد سعيد عليكم دي عيدية "رحمة " .
- شكرتني الأم وقالت :

اتفضل افطر معانا .

شكرتها ،ولما هممتُ بالانصراف،أسرعت الطفلة نحوي وقبَّلتني على وجنتي قبلةً تساوي الدنيا.

أخيرا ... استردت كنزها وبهجتها .

ولما وصلتُ لفتحة العبور ،كان عندها تجمع كبير من السيارات والناس وصوت سيارة الإسعاف يملأ المكان حاملة بعض

---

١ خديها

المصابين في حادث تصادم كثيرا ما يحدث عند فتحات الطريق السريع ،قبل أن يتم عمل كوبري علوي عند مدخل القنطرة الشمالي على طريق بورسعيد. توقفتُ ونزلتُ لاستطلاع الأمر ... ثم هالني[1] ما رأيت ؟؟!

كان الرجل الذي نبهني لوجود الفستان خلف الكنبة من بين المصابين الذين يحملونهم إلى سيارة الإسعاف التي لم تتأخر كعادتها ،قلت في نفسي : الحمد للّه ،صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

كنتُ كلما وقعتُ في شدةٍ أتوسَّلُ[2] إلى اللّه بهذا العمل الخالص لوجهه الكريم.

" اللهم اجبر خاطري وفك ضيقتي كما جبرت خاطر رحمة وأسرتها "

وكانت الإجابة دائما لا تتأخر من المجيب الجبار سبحانه وتعالى..

---

[1] أفزعني وأرعبني

[2] أتقرب وأدعو الله

رد الجميل

بينما كنت في مكتبي ،دخل رجل كبير في السن ،تظهر عليه علامات الطيبة والأصالة، طلب إنهاء أوراق إجازة لابنته المريضة ،رحبتُ به .

كان قريب الشبه من والدي - عليه رحمة اللّه .

ثم طلبتُ منه البطاقة ،ولما قرأت الاسم سألتُه :

- تعرف الحاج ..... ؟! وكان مديرا سابقا للإدارة التعليمية

أم هو تشابه أسماء ؟

- فقال : الحاج .... اللّه يرحمه ،أخي الأكبر.

- فقلت : عليه رحمة اللّه ،كان نعمَ الناس .

أحضرتُ له فنجانًا من القهوة ،ثم تركته جالسًا تحت المروحة في يومٍ صيفيّ حارٍّ ، وقمتُ بالمرور على المكاتب ؛ لأنهي له الأوراق ، كان زملائي يتعجبون من موقفي وأنا الذي لا أتحرك

من مكتبي في الغالب ، وظنَّ بعض الخبثاء أنه أعطاني مالا نظير[1] تخليص الأوراق .

وتساءل مدير شؤون العاملين مستغربا :

لماذا لا تتركه ينهي الاوراق بنفسه ؟ !

أخبرته أنه أخو مدير الإدارة الأسبق الحاج ..... .

فقام مسرعًا لاستضافته ،فقلت :

- هو ضيفي أنا وسوف أنهي الأوراق كلها دون أن أتعبه.

كانت مكاتب الإدارة متناثرة[2] بين عدة شقق سكنية ومدارس، قبل أن يتم بناء مبنى مستقل لها ذهبت في عدة مشاوير بالتوكتوك للتوقيعات والأختام ،ما بين عدة مدارس ومكاتب التنسيق والتوجيه والشؤون القانونية والملفات ومدير الإدارة "شغل روتيني " ثم عدتُ بعد نصف ساعة تقريبا .

---

[1] مقابل
[2] متفرقة

ويعتبر هذا انجازا في العمل، فاستبطأني الرجل ،و بعدما عدت ، قال معاتبا:

- ليه يا ابني لطعتني المدة دي كلها ؟!

كان زماني بخلص الورق .

- قلت ضاحكا : الورق خِلصْ يا عم الحاجّ .

وأعطيته الأوراق فنظر فيها فوجدها خالصة التوقيعات والأختام ،شكرني .

- فقلتُ له :

جمايل المرحوم مغرقانا يا حاج ، واحنا كلنا في خدمتك

دعا لي بالخير وعند انصرافه ،قلت له :

- تعالى لما أوصلك .

ظن أن معي سيارة فلما وجدني أقود توكتوك دعا لي بالبركة والصحة .

أوصلته إلى موقف الإسماعيلية وعندما همَّ بالنزول، أخرج مبلغا من المال وهو في حيرة من أمره وعرضه عليَّ ، فقلتُ :

أنت كده بتشتمني يا حاج ، ده واجب علينا .

- قال مترجياً :

دول مش لك، دول للعيال اشتري لهم حاجة حلوة، وقل لهم من عمهم ... واقسم باللّه أن آخذ الفلوس .

أخذتها بعد إلحاحه[1] ، ولم أصرفها .

وضعتها في يد عامل المدرسة ،ظروفه صعبة وابنه مريض.

والحمد للّه على نعمه التي لا تحصى.

---

[1] اصراره

سوق الخضار و سوق الفاكهة

بينما كنت عائدا من توصيلة إلى "عزبة ..."[١]

خرجت إلى الطريق شابة فارعة الطول ،ملفوفة القوام ترتدي عباءة سوداء ضيقة ، تُجسّمِها[٢] وتكاد تظهر كل تفاصيل جسدها ، وتضع مكياجا صارخا ، توقف لها أكثر من توكتوك فلم تجبهم ولما اقتربت أشارتْ إليَّ فتوقفتُ،ولما ركبتْ معي فاح[٣] عطرها في التوكتوك، كان عطرا ساحراً ،كان الوقت متأخرا قرابة الحادية عشرة والنصف مساءً .

- قالت : سوق الخضار لو سمحت.

تعجبت في نفسي وقلت :

- سوق خضار إيه دلوقتي ؟ !

ده المحلات كلها قفلت تقريبا.

---

١ عزبة في ضواحي القنطرة غرب

٢ تبرز مفاتنها وتفاصيل جسمها

٣ انتشر

لاحظت كمية المساحيق التي تضعها على وجهها ،فقلت ممازحا :

- سوق الخضار واللا سوق الفاكهة ؟!!

صمتت برهة ، ثم قالت بصوت ناعم في دلالٍ ووقاحةٍ :

- سوق المتعة .... لك فيه يا عسل ؟
- قلت أعوذ باللّه ..

نزل عليّ كلامُها كالصاعقة ،كانت المرة الأولى في حياتي التي أتعرض فيها لهذا الموقف المحرج ، فتاة وقحة تعرض نفسها ،فارتجفتْ يداي وجسمي كله ،وظللتُ أردِّدُ في سري:

- أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم .
- أنا بهزر بس .

ظهر الغضبُ في وجهها ،بعدما قمت بصدها ،

وقالت في عصبية و حِدَّةٍ [1]:

[1] غضب وضيق

- طبْ خليك في حالك بقى ، أحسن لك يا عم الشيخ .

حاولتُ السيطرة على التوكتوك وعلى أعصابي، طوال الطريق مخافة أن ترمي بَلاها عليَّ وأكثرتُ من الاستغفار ، ومن ذكر اللّه ؛ بينما كانت نفسي الأمارة بالسوء تحدثني والشيطان الرجيم يحاول غوايتي[1] واللعب بي ؛ لكنَّ اللّه بفضله نجاني .

فلله الحمد والمنة.

أوصلتها أخيرا إلى سوق الخضار ،بعد صراع مع نفسي فنزلتْ أمام أحد المحلات بالسوق ،كان مغلقا وما إن نزلتْ حتى التقطها أحدهم ،كان ينتظرها ، فصعدتْ معه بعدما قام بدفع الأجرة ، وهو يظهر لهفةً وشوقًا وسعادةً باديةً في عينيه المسكين ... استطاع الشيطان غوايته .

مشتْ معه تتثنى وتتمايل ...

ثم لاحتْ منها نظرة أخيرة ساخرة نحوِي كأنما تقول لي :

---

[1] تضليلي للوقوع في الخطيئة

- فيه غيرك بيقدر الجمال يا غشيم !!

ربنا يستر على ولايانا ..

سيادة النائب ...المحترم

أمام مجلس المدينة رأيته واقفا ،يبحث عن توصيلة ،اقتربتُ منه وتوقفتُ له،فركب معي ،عرفته ولم يعرفني ،كان زميلا لنا في المهنة ،وربنا فتح عليه وصار نائبا مشهورا بمجلس النواب ، كانت شوارع القنطرة تحت الإحلال والتجديد ، بعدما قام المقاول بتكسير الأسفلت القديم وباعه ثم رصف بعض الشوارع وترك الباقي، تعمدت أن أسرع به حتى يتذوق ما نعانيه ،طلب توصيلَه إلى معدية الأفراد ، و ذكر أنه ترك سيارته أمام مجلس المدينة، وذاهب لأداء واجب عزاء بالقنطرة شرق .

لاحظ أنني أتعمد السرعة فوق المطبات والحفر ،فقال :

- على مهلك شوية ،أنت مش عارف تسوق واللا إيه ؟
- لا . طبعا يا سيادة النائب.

بس أنا عارف إن وقتك من دهب

وبعدين يا أخي لازم تعاني شوية زي بقية الشعب احنا كل يوم في الغلب ده.

قال بلهجة النواب المحترفين :

- أنا ابن الشعب ، اطمئن سوف يتم الرصف سريعا ، أوعدك .

جاء في ذهني صورة الفنان القدير "فؤاد المهندس" في فيلم " أرض النفاق " عندما رشح نفسه في الانتخابات ، ووقف يخطب في الشعب .

فضحكت وقلت:

- الكلام ده سمعناه من سنتين فاتوا ، والشوارع بقت حالتها أسوأ من الأول، أنا لسه مغير المساعدين بتاع التوكتوك ب ٣٠٠ جنيه ،غير إن ضهري استوى من كتر الحفر والمطبات ،حِسُّوا شوية بالشعب المسكين ،اللّه يرحم أيام المدارس وقرف الطلاب .

تفحصني جيدا وقال :

- أنت الأستاذ .... ؟

- قلت : نعم ، أنا .... زميلك في العمل سابقا.

- قال بنبرة حزينة وصوت منكسر :

كلنا نعاني ،والبلد ظروفها صعبة ،ولابد أن نتحمل سويا.

- قلت له : للأسف ..

احنا اللي بنسوق ونعاني، وأنتم اللي راكبين ومرتاحين.

تضايق من كلامي .. لكنه لم يستطع الرد ،وتظاهر بالتكلم في جواله .

وعند نزوله ، أخرج خمسة جنيهات، وهي الأجرة المعروفة.

- فقلت : لا ، الأجرة ١٠ جنيه

أنا كسَّرت التوكتوك عشان أوصلك بسرعة.

أعطاني المبلغ ، وقال :

- أنت كسَّرت عضمي مش التوكتوك !!

- قلت ضاحكا بملء فمي :

~~هههههههههههه~~

وهو ده المطلوب !!

بين كلبين

في صباح يوم شتوي ،كانت الشبورة الكثيفة مسيطرة على الجو تكاد تحجب الرؤية تماما ،تأخرتُ في الخروج كعادتي في مثل هذه الأيام ،ثم بدأتُ في تسخين التوكتوك ،أخيرا دار الموتور بعد عدة محاولات لتشغيله ،وبعد قليل هممتُ بالخروج على الطريق ؛ فوجدتها أمامي جارتنا أم .... يبدو على وجهها الحزن والكآبة ، وتبكي بحرقة دون صوت ، ألقيت عليها التحية :

- صباح الخير يا أم .... .

فمرَّتْ من أمامي ولم ترد ، تعجبتُ لحالها !!

وعرفت لاحقا أن ابنها كان قد جلب كلبا بوليسيا ؛ لحراسة الزريبة وعشة الفراخ وبقرتها الوحيدة ؛ التي كثيرا ما أزعجني خوارها[1] المرتفع،حزينةً تنادي على وليدها الذي أخذوه من بين يديها ،وباعوه واشتروا بثمنه عدة بطات صغيرة وعلف وقامت

---

[1] صوت البقرة

جارتنا بتربية البطات تمهيدا لبيعها في سوق القرية ؛ لكنَّ الكلب الشقي كان قد تمكن من الإفلات من قيده غير المحكم وهجم على تلك البطات الضعيفة ،وخنقها جميعها في ظلام الليل وسكونه، و لم يسعفها أحد في هذا البرد الشديد، بالرغم من صياحها غير المعتاد ،ومحاولاتها اليائسة للهروب منه .

كانت الجارة المسكينة تبكي على ضياع ثروة ومجهود كبير ؛ بذلته في تربية وتسمين تلك البطات المغدورة

- قلت : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ع الصبح .

غالبتُ قلقي وتوكلتُ على اللّه ،أوصلتُ زبونا إلى القنطرة ثم تذكرتُ أنني نسيت مفتاح المكتب في البيت ،فعدتُ متضايقا:

- هو يوم باين من أوله .

وبينما أنا عائد عند المدخل الجنوبي للقنطرة "الصينية الكبيرة " كانت توجد مجموعة كبيرة من الكلاب كأنها قافلة

تحاول العبور من "عزبة الحساسنة " متجهة الى " عزبة حسني" على الجانب الآخر للطريق السريع ،ويحاول قائدها أن يتفادى الاصطدام بالسيارات والتكاتك التي كانت تسير بسرعة رغم وجود شبورة، قد خفت قليلا تاركة خلفها بعض الندى على التراب المزاحم للطريق ،والذي تركه عمال الحفر خلفهم ،بعدما قاموا بتوصيل كابل كهرباء أرضي تم نقله من جوار "مول امطير"[1] إلى الجهة المقابلة من الطريق .

لم أكن أسير بسرعة كبيرة ،وفجأة لمحتُ كلبا ضخما يحاول العبور أمامي .

نظر في عيني كأنما يقول :

- يا إنسان ..... " لا تؤذني ".

حاولتُ تفاديه وضغطتُ على الفرامل ؛ لكنَّ التراب الندِيّ لم يستجب لمحاولة الإطارات التمسك به ،كان ذلقا فزحف التوكتوك مسافة طويلة على التراب ،فاصطدم الكلب بقوة في

[1] سوق تجاري حديث في المدخل الجنوبي للقنطرة

العجلة الأمامية، و مال التوكتوك على جانبه الأيسر وحاولت دون جدوى التمسك بالجادون وإعادة التوازن للتوكتوك ؛ لكن الكلب المسكين كان محشوراً بين العجلة الأمامية وصدر التوكتوك ؛ مانعا محاولتي لتصحيح الوضع ، يعوي من ألم الاصطدام ،صوتا أحزنني وآلمني لكن ليس بيدي حيلة ،ثم لما أيقنتُ أنه لا فائدة من المحاولة ، قفزت من فوق الكرسي مردداً في عفوية:

- الله أكبر ... الله أكبر .

زحفتُ مسافةً على الأسفلت حتى استقريتُ أخيرا تحت التوكتوك ،الذي توقف ضاغطا بجانبه الحاد على رجلي اليسرى ،كانت ضغطةً قويةً على الساق أنستني بقية الإصابات والتسلخات التي حدثت في جانبي الأيسر ،بادئة من الرأس حتى الكعب ممزقة القميص والبنطلون الذي ارتديه بسبب الاحتكاك الشديد بالأسفلت أثناء زحفي صرخت من الألم فأسرع بعض العمال في الكافتيريا القريبة والورش المجاورة

وعدلوا الوضع ، ورفعوا التوكتوك من فوق رجلي المصابة وساعدوني على الوقوف ،وعرضوا اصطحابي إلى المستشفى ،كانت الإصابات طفيفة والحمد للّٰه .

وقفتُ على قدميَّ وسرتُ لم يكن هناك أي كسور ،فقط بعض التجلطات في رأسي وكتفي وجانبي وذراعي ورجلي من جهة اليسار،عدا بعض الكدمات في التوكتوك والثنيات قمت بإصلاحها لاحقا وعرض بعضهم توصيلي ،فشكرتهم ثم ركبت التوكتوك عائدا إلى المنزل ينزف الدم من جسمي دون أن أشعر، وركنت التوكتوك ،ثم طرقت الباب،ففتحت زوجتي فأفزعها ما رأت.

- إيه اللي حصل ؟!!
- الحمد للّٰه ربنا نجاني .

أسرعَتْ الى الصيدلية القريبة ،وأحضرت شاشا وقطنا وبعض الدهانات ونظفت الجروح، وكان بعضها غائرا في قدمي اليسرى ،ثم رشت مضادا حيويا ،غيرتُ ملابسي وحاولت

الاستراحة. أنتشر الخبر جاءتْ أمي مسرعةً يبدو عليها القلق والحزن ، فطمأنتها :

- أنا بخير يا أمَّهْ، متزعليش.

ثم جاءت جارتنا تبكي وتعتذر ..

- أنتَ اصطبحت بوشي النهاردة .
- ضحكتُ ضحكةً واهنةً[1] ، وقلت :
- الحمد للّه ، ما تقوليش كده يا " أم ..... "
الحمد للّه ربنا سترها معايا .

بَكَتْ .. وحَكَتْ ما حدث لبطاتها المسكينة .

فواسيتها مازحا :

- الكلب بتاعكم أكل البط والكلب الثاني قلب التوكتوك
وحكيتُ لهم ما حدث ......
- قالت زوجتي : وماذا حدث للكلب ؟

---

[1] ضعيفة

- فمازحتها قائلا :

طب اسألي عن الكـ... اللي معاكي الأول ؟!!

- قلت :

بينما يتم سحبي من تحت التوكتوك ،رأيته يجري مسرعاً ولم يصب بأذى المحظوظ ابن الكـ...

الحمد للّه

قضا أخف من قضا .

عاصمة جهنم

كثيرا ما كنت أركن التوكتوك بجوار سور إحدى المدارس بالمدينة ؛ لوجود مكتبي بها ،وفي إحدى المرات ،كنت خارجا من المكتب الساعة الثانية ظهرا في يوم صيفي شديد الحرارة فناداني رجل وطلب مني توصيل مرتبة جديدة إلى...

"عاصمة جهنم " ؟؟!!!!!

اندهشتُ من الاسم ،فوصف لي المكان، كانت مرتبة قطنية ثقيلة، قمنا بتحميلها سويا على ظهر التوكتوك وأخبرني سوف تجد من ينتظرك ،وخليك معايا على التليفون ، انطلقتُ ووصلتُ إلى المكان المقصود، عبارة عن عدة شوارع ممتدة بها مخازن للسيراميك.

كانت الشوارع فارغة إلا من غفير عجوز جالس في ظل شجرة يغالب النعاس ، ويتجمع حوله حشد من الذباب ، وقد استسلم له تماما بعد عدة محاولات يائسة لطرده بلا فائدة، مررت من

أمامه مرتين فلم يحرك ساكنا ، ولم أجد أحدا في انتظاري كما أخبرني "......" توقفتُ ثم اتصلتُ به فطلب مني الانتظار لحظات، ثم قال :

- ستجد مَنْ ينادي عليك .

فعلا ..

بعد قليل ،وجدتُ مَن تشير لي في آخر الشارع ،عند منزل كبير له بوابة واسعة تتسع لمرور سيارة،و أمامه كراتين كثيرة من السيراميك متراصةً بأنواعه وألوانه وأحجامه المختلفة اقتربتُ ، كانت امرأة بيضاء في الأربعين تقريبا من عمرها، وفتحت البوابة وطلبت مني الدخول بالتوكتوك ؛ لكنِّي رفضتُ الدخول بالتوكتوك وذلك بسبب مظهرها الذي يوحي أنها كانت تأخذ دشا باردا ،ونزلتْ على عَجَلٍ[١]، فلم تجد ما تلبسه سوى روب طويل على ملابس داخلية ،ويبدو أنها لم تحكم رباط حزام الروب ، فانفك الروب كاشفا عن ساقيها،غضضت

---

[١] بسرعة

بصري ، ولم تحاول هي حتى ربط حزام الروب ثانية ، وظلت تتفحصني جيدا مدة من الزمن .

أنزلتُ المرتبة بصعوبة وجَهد على سُلَّم البيت،فقالتْ:

- احملها معي إلى المدخل .

لم أنظر إليها وقمت بحمل المرتبة من جهة وقامت هي بحملها من الجهة الأخرى ثم دفعتني إلى الداخل وألقت المرتبة على الأرض وتوقفت أمام البوابة نصف المفتوحة وحالت[1] بيني وبين الخروج كانت مبيتة النية على الشرِّ، ناديتُ على الغفير فلم يجبني،خدعتْهُا بقولي :

- طيب أركن التوكتوك اللي قافل الشارع .

فسمحت لي بالخروج بصعوبة وأنا أذكر الله واستغفره في سري ،وأدعوه أن ينجيني من شرها وكيدها .

وضعتُ المفتاح وأدرت الموتور .

---

[1] حجزت

وهربتُ بسرعةٍ ...

وبينما كنت أمرٌّ أمام الغفير المتناوم[1] ..

أصدر ضحكةً شريرةً عاليةً.

قلتُ في تعجب:

أعوذ باللّٰه !!

فعلا عاصمة جهنم !!!

---

[1] متظاهر بالنوم

لو سمحتي ... انزلي !!

شارع السويس هو الشارع الرئيسي في القنطرة تنتشر على جانبيه محلات الجملة والقطاعي بالحي التجاري وهو شارع مزدحم طوال الوقت لا يخلو من المارة أو المركبات بأنواعها .

امرأة في العقد الثالث من عمرها معها ولد وبنت يبدو عليهم الثراء والنعمة أشارت فتوقفت ......

- جحا[1] لو سمحت.
- القديم و اللا الجديد ؟
- الجديد اللي عند البنك الاهلي.

كان الأطفال في غاية السعادة وهي تحاول السيطرة عليهم حتى لا يسقطوا من التوكتوك أثناء السير .

- معلش أصلهم أول مرة يركبوا فيها توكتوك.

كانت لهجتها خليط بين القاهرية والصعيدية والبورسعيدية.

---

[1] محل مشهور للآيس كريم والعصائر بالقنطرة

- قلت مفاخرا: لا .... ومش أي توكتوك ده السواق أستاذ ورئيس قسم .

ردت بتعالٍ[1] وكبر:

- كلهم شحاتين.

اخترقت الإهانة أذني . حاولت السيطرة على غضبي .

فقلت مستوضحا :

- ماذا تقصدين ؟

قالت في عجرفة وتعالٍ - لا أدري من أين اكتسبتهما - :

- كلكم شحاتين مدرسين وسواقين !!

توقفت في الحال وسط الطريق المزدحم ،تعالَتْ[2] الأصوات اتحرك يا عم الحاج ، تجمع بعض التجار والمشترين حولنا.

- وقفتْ ليه ؟

[1] تفاخر وكبر

[2] ارتفعت الأصوات بالصياح

- لو سمحتي انزلي.
- يعني إيه ؟!!
- الشحات مش عاوز يوصلك .
ربنا يغنينا بالحلال .

نزلت تكاد تنفجر من الغيظ وأخرجت غضبها في الأطفال الأبرياء ،صرخت بالسباب والشتائم التي أظهرت معدنها الذي حاولت إخفاءه خلف المظهر الشيك وسط ذهول الناس من بذاءة[1] لسانها .

ضحكتُ بصوت عالٍ .. هههههه

كنت في قمة سعادتي ...

رددت لها الإهانة ..

حتى تحترم غيرها.

---

[1] سفالة وقذارة

يا بلاش

في يوم صيفي شديد الحرارة أردتُ أن أستريح قليلا وأريح موتور التوكتوك توقفت أمام معصرة .... لتناول كوب عصير يروي ظمئي[١] ، بعدما ارتويتُ قمتُ إلى التوكتوك لمواصلة السعي على الرزق وما كدتُ أضع المفتاح لتشغيله حتى هجمتْ عليَّ بصدرها المفتوح شابة مبتذلة الثياب ،اقتربتْ بشدَّةٍ حتى أزكمتْ أنفي بعطرها النَّفاذ الذي تضعه ،كانت ترتدي " بدى " مفتوح الصدر وحمالات تكاد تنوء[٢] تحت وطأة[٣] ما تحمله.

- قالت في ميوعة :

يا بلاش .. ظننتها تعرض نفسها .

- فقلت :

لا .. بلاش !!

- ضحكت ضحكة رقيقة وقالت :

---

[١] شدة العطش
[٢] لا تحتمل
[٣] شدة وثقل

أنت فهمتني غلط يا جدو !!

أنا عاوزة أروح " محل يا بلاش[1] " .

- ضحكنا ، وفي الطريق سألتها :

ليه يا بنتي ما بتداريش[2] نفسك ، مش خايفة لحد يخطفك ؟

- قالت في لهفة :

وهو فين الحرامي ده ؟ لو تعرفه ابعتهولي تكسب ثواب فيَّ !!

مررنا ببائع الخبز وقد افترش الرصيف ، ووضع الأرغفة على الأرض ، ثم مررنا بمحل أحذية وقد قام البائع برصِّها في فاترينة زجاجية .

- قلت لها :

شوفتي ؟!

- قالت:

[1] محل لبيع الخردوات وادوات الزينة والعطور الرخيصة بالقنطرة

[2] تغطي وتستري

شوفت إيه ؟!

- العيش اللي من غيره الناس ما تقدرش تعيش ، مرمي على الأرض والجزم مرصوصة في الفاترينات.

- تقصد إيه ؟!

- الشباب يا بنتي بتعجبهم اللي كاشفة نفسها؛ بس الواحد منهم لما يحب يتجوز بيختار اللي ساترة لحمها.

- قالت :

أشكرك يا والدي ،وأوعدك أعمل بنصيحتك .

وصلنا أخيرا "محل يا بلاش " بعد طول انتظار وزحام خانق في شوارع القنطرة، بسبب تكسير الطرق لتوصيل الغاز الطبيعي للمنازل ،وعدم إعادة الرصف رغم الانتهاء من توصيل الغاز منذ عام تقريبا .

مال سايب ..

مصر عظيمة

قبيل المغرب بلحظات ،كنت عائداً من توصيلة في ضواحي القنطرة إلى " الحرش " وعلى أطراف المدينة ،لاحظت شبابا واقفين على الطريق ممسكين بعلب العصير و تمور ،يعطونه المارة في الطريق في شهر رمضان الفضيل ، ولاحظتُ مائدةً كبيرةً أمام أحد البيوت أبطأتُ من سرعتي فأقبل شاب أعرفه ، فقد كنت أدرِّس له سابقا وصار مهندسا وألحَّ عليَّ بالنزول إلى المائدة ،لاحظ والده التاجر المشهور بالقنطرة إلحاحه[1] فاقترب قائلا :

- اتفضل وشرفنا يا أخي .

تحرجتُ ثم نزلتُ ؛ فأخبره ابنه" كيرولس " أنني كنت معلمه في السابق ،رحب الرجل بي وازداد حفاوة بنا جميعا ، لاحظت أنَّ معظم مَن في المائدة من البسطاء ،كانت مائدة عامرة بالمحبة والكرم المصري الأصيل .

---

[1] إصراره

هذه هي مصر العظيمة التي حاربت الفرنسيين و الإنجليز بطوائفها وأبنائها الأبرار .

حقا الدين للّه والوطن للجميع .

أخرجت تليفوني وأخبرت زوجتي أنني سأفطر في الخارج حتى لا تقلق علي فقالت تمازحني :

أنت اتجوَّزت عليّ واللا إيه ؟

- قلت ضاحكا :

نعم تزوجتُ مصر التي أحببتها من كل قلبي ،وأفديها بروحي ودمي .

و هـ أجهز لك عيالي

أفدي بروحي ومالي

ولجل تعيشي حرة

يرخص لك كل غالي

هاجروا و راحوا الشباب

وسابوكي في العذاب

وأنا قلبي ليكي عاشق

شاعر والشّعر شاب

حقا : مصر وطن يعيش في قلوبنا ،ونعيش على أرضه .

كنانة اللّه في الأرض .

حماها اللّه ورعاها .

واد .... يا كتاوت

بينما كنا أنا وأمي المسنة وزوجتي وابني الأصغر عائدين من زياره أختي الكبرى ،في قرية "أبو خليفة " ثالث أيام عيد الأضحى ، طلبت أمي - وطلباتها أوامر - أن نرجع من طريق ترعة الإسماعيلية حتى نمُرّ بـــ " محطة مياه نمرة ٣ " التي كان يعمل بها جدي "عليه رحمة اللّه" ، لتتذكر أيام صباها وهي تحضر له الغداء كل يوم ؛ ماشية على أقدامها مسافة ٢ كلم تقريبا أخبرتها بوجود كمين للشرطة في الطريق ،وبه شاويش سوف يوقفنا وربما يأخذ التوكتوك مني .

- قالت : ما تخافشي وسلمها للّه .

سلمتُ أمري للّه وسرتُ في الطريق الذي كان مرصوفا وتعرض للإهمال منذ مدة ، كما تعرض غيره ، سرتُ على مَهَلٍ[١] وعندما اقتربنا من محطة المياه رأيتُ الدموع في عيني أمي فقد تذكرت أبيها وأيام صباها .

---

[١] ببطء

- وحِدّي اللّه يا أمي ،وادعي لهم بالرحمة ، ربنا يرحم موتانا ويسكنهم فسيح جناته .

دعتْ لهم بالرحمة ،اقتربنا من الكمين ، وكان الشاويش واقفا فعلا : " اللي يخاف من العفريت ، يطلع له "

- رخصك ؟
- نسيتها في البيت ،كل سنة وأنتم طيبين ،وعيد سعيد عليكم .
- طب اركن يا خفيف ، ماشي من غير رخص ،المكنة دي هتتصادر .

استعطفته فلم يستجب .

وإذا بي أسمع أمي تنادي بصوتٍ عالٍ :

- واد يا كتاوت ..أنت يا ولا. التفتَ الشاويش يمنةً ويسرةً وسط تعجب كل من في الكمين ..

من عساكر وسائقي السيارات المتوقفة والركاب

أقبل نحو التوكتوك ليعرف من ينادي.

- أنت لسه يا وله ما بطلتش أذية في الناس .
- مين ؟! خالتي .... إزيك يا خالة .. واللّه زمان يا خالة.
- فاكر يا ولا لما سرقت من العمدة ،وقلبوا عليك البلد وخبَّيتك تحت " اللقَّان[١] "

حاول أن يسكتها وسط ضحك كل من في الكمين، حتى الضابط الذي كان يجلس بالقرب تحت المظلة باديةً[٢] عليه علامات الضيق ؛ بسبب عدم قضاء العيد وسط عياله؛ لكنه الواجب يناديه .

- قال مستعطفا : أبوس إيدك يا خالتي .. بلاش الكلام ده هنا.
- أعطاني البطاقة قائلا : هل تعرفها ؟
- دي أمي .
- ابقى تعالى يا ولا اتغدى معانا يوم ... هبعت لك مع ابني.

---

[١] وعاء كبير من الفخار كان يستخدم للعجين

[٢] ظاهرة وواضحة

- حاضر يا خالة ... دعواتك يا خالة .

- روح ربنا يهديك وتبطل أذيَّة في خلقه .

سمح لنا بالمرور وسط تعجبي ، وتعجب الجميع .

- قلت بركاتك ياأمَّه.

عرفت منها أنها أثناء الهجرة من مدن القناة بعد عدوان ١٩٦٧ سكنت مع العائلة في " قرية الأخيوة " إحدى قرى محافظة الشرقية ،وكان كتاوت طفلا شقيا ،يسرق من أهل البلد ومن المهاجرين وكانت أمي تعطف عليه لأنه كان يتيما ولا يجد من يوجه إلى الصواب .

عالم وسخة ؟؟!

بينما كنت أمر أمام إحدى العيادات التي انتشرت في البلد كالنار في الهشيم، شاهدت رجلا نحيلا وشابا وفتاة ، لاحظتُ أن الرجل يضع ذراعه على كتفي الفتاة مستندا عليها ،وكانت ترتدي عباءة سوداء لامعة ضيقه تجسم جسدها بشكل لافت كونها ممتلئة القوام ،أشار الشاب فتوقفت ، جلست الفتاة مع الرجل في الكنبة الخلفية بينما جلس الشاب بجواري .

قالت الفتاة:

- عارف " البـ .....[١] "
- أه عارفه ... خير إن شاء اللّه ؟!
- ودينا هناك .
- وده عاوزة منه إيه ؟!
- أخويا عيان والدكتور وصف له يشرب "بيرة "[٢]

---

[١] محل لبيع الخمور
[٢] مشروب الشعير المعروف

عشان الحصوة.

- ألف سلامة عليه.

تحركت ثم سمعت بعض الضحكات في الخلف .

- فيه حاجة ؟

- أبدا مفيش ،خلي بالك من الطريق لتعمل حادثه .

- ربنا يسترها علينا .

- سألت مَن بجواري : وأنت تقرب لها إيه ؟

- أنا خطيبها .

وصلنا أخيرا توقفت فنزل الرجلان بينما ظلت معي .

سألتها بعدما لاحظت أن الرجل المريض سار على قدميه ولا يبدو عليه المرض .

- أخوكي باين عليه إن صحته رجعت له تاني ؟!

- ده مش أخويا ، ده جوزي .

اندهشتُ !

ثم حدث أن مر بجوارنا سائق توكتوك شاب توقف وقال:

- اشطة يا فلانة ، السهرة فين النهاردة يا ..... ؟

شتمته بألفاظ خارجة ، فمشى بعدما قال كلاما إباحيا وضحكت هي بخلاعة .

- فقلت لها : انزلي .

- صاحتْ : فيه إيه يا عم أنت ؟

وأسرع من معها وحاولا الاشتباك معي، صحت فيهم بعدما أخرجت كارنيه نقابة المعلمين :

- اخرس منك ليه ،أنا الأمين ......

هاتصل حالا وأوديكم ورا الشمس يا ولاد الو...

- أنتم جايبينها من فين الـــــ..... دي ؟!

تصادف مرور أحد طلابي القدامى في الطريق،شاب فارع الطول يرتدي ترنجا وكابا أسودا ونظارة شمسية ،اقترب منا

وقال :

- ازيك يا فندم .

- أهلا يا أمين[1] .

- فيه حاجة يا فندم ؟ تراجع الرجلان وسكتت هي.

- لا .. مفيش شكرا يا باشا.

بينما كنت أنظر في عيونهم بغضب واضح ، فتحركوا مبتعدين

- صرختُ فيهم : الأجرة يا ولاد الــ....

بينما كان الشاب يدفع الأجرة تجمع حول الفتاة عدة تكاتك وحدثت مشادة ،فركبتْ هي مع أحدهم وانطلقا بسرعة،وركب الرجلان خلفها بسرعة .

و بينما كنت عائداً من توصيلة إلى " الإرسال " في الضواحي الشمالية للقنطرة ، لمحتهم بالقرب من كافتيريا الإرسال يشربون ويحتفلون بعيد الحب .

---

[1] "كان اسمه أمين وهذه مصادفة عجيبة ".

"صحيح عالم وسخة "

بصوت الشيخ حسني في فيلم : " الكيت كات " .

باشا .. باشا .. باشا ...

أثناء وقوفي بالقرب من "المعبر [1]" في ليلة من ليالي رمضان توقفت قافلة من الباصات تريد العبور إلى سيناء ،وكان لابد من نزول الركاب للتفتيش ، كالمعتاد ونظرا لأن الركاب كانوا مجموعة من المرضى والمصابين الفلسطينيين الذين تمت معالجتهم في مستشفيات الإسماعيلية ،طلب مسئول نقطة التفتيش من جميع سائقي التوكتوك الواقفين وكنت من ضمنهم توصيل الركاب إلى "المعبر" فُرَادَى ؛ حتى يتم تفتيش السيارات والأمتعة ، ثم يركبون من عند المعبر ؛ فأخبرته أنني لم أستخرج بعدُ رخصة قيادة ،فالتوكتوك جديد وكنت قد تكلفت ثمن تنجيد الكنبة وكرسي السائق مبلغا محترما .

فقال لي:

- ما تخافش .. وصَّلهم وتعالى خذ غيرهم .

---

[1] معدية للسيارات على قناة السويس

ركبتْ معي سيدة مُسِنَّة ،فقمتُ بتحميل حقائبها وساعدتها على ركوب التوكتوك، لم يكن معها أي مرافق ، وأوصلتها مسافة لا تتعدى ٣٠٠ متر تقريبا ،ثم قمتُ بتحميل حقائبها في الباص المنتظر عند المعبر ،فأعطتني ٤٠ جنيها ، وشكرتني .

ثم عدتُ مسرعا،وأنا سعيد لأنقل زبونا آخر ،ولما وصلت عند نقطة التفتيش في طريق العودة ،أوقفني الباشا ،ثم طلب من العساكر تفتيش التوكتوك وقال :

- فتشوا كويس ومزقوا التنجيد.

بحثا عن المخدرات.

أخبرته أنني كنت أمامه منذ ١٠ دقائق ،وهو من طلب مني توصيل السيدة العجوز، رفض سماعي وأصرَّ على التفتيش.

قلت بحزن :

- يا باشا بقى عشان ٤٠ جنيها تقطع تنجيد التوكتوك أبو ٤٠٠ جنيه .

- ضحك وقال: طب اركن هنا شوية .

أخرجت له بطاقتي مدون بها مهنتي "معلم " وظللت واقفا قرابة الساعة ،وأنا كل فترة أكلمه وأستعطفه :

- باشا .. باشا .. يا باشا ..

كما فعل الفنان " محمد هنيدي " في فيلم كوميدي " وش إجرام " حتى ملّ مني ،وقال:

- غور بقى صدَّعت دماغي .

حمدتُ اللّه على النجاة .

ولم أكرر الوقوف في هذا المكان مرة أخرى.

يوم مطير

كان يوما شتويا ممطرا ،بدأ اليوم صافيا ثم تجمعت الغيوم فجأة وتناطحت السحب وكاد البرق يخطف الأبصار و الرعد يصم الآذان ،وسقط المطر غزيراً لمدة طويلة ،وكنت أمُرُّ بالقرب من "مدرسة .... الثانوية للبنات" و كانت تقف أمام البوابة طالبة غارقة في المطر وكذلك بعض الشباب أشارت لي فتوقفتُ ، فصعد شابان قبلها ،فقلت لهما:

- أنا جاي لها . رفضا النزول فنهرتهم :
- خلُّوا عندكم نخوة ، نزلوا على مضض، ركبت معي وهي ترتجف من البرد .
- وديني "عزبة ....[1] "
- سألتها : لماذا خرجتي في هذا اليوم الممطر؟
- عندي دروس والجو قلب بسرعة .

[1] عزبة زراعية على الأطراف الجنوبية للقنطرة

كان المطر شديدا ولا أكاد أرى الطريق ،وكنت أسير بحذر مخافة الاصطدام بأحد ،ثم أوصلتها أخيرا إلى بيتها في آخر العزبة، كانت أمها تقف أمام البيت غارقة في المطر والقلق والخوف على ابنتها الشابة ، ولما رأتها أشرق[1] وجهها كأنما عادت إليها روحها ،نزلت الابنة وعرض أبوها كوبا من الشاي الساخن ،كان قد أعدَّه من قبل على نيران خشب الكافور في موقد أمامه،نزلتُ وشربتُ معه كوبا ساخنا من الشاي أدفئني. أخبرَتْه ابنته بما حدث ؛ فشكرني وعرض مبلغا من المال ، رفضتُ أن آخذ فوق حقي ،فطلب مني أن أوصلها إلى دروسها يوميا ،فأخبرته أنني موظف ووقتي ليس ملكي ؛ لكني أعطيته رقم أحد زملاء المهنة ، كان شابا أمينا خريج كلية العلوم ويعمل على توكتوك ليعيل نفسه ويساعد والده في تعليم إخوته الصغار .

---

[1] أضاء

ثم بعد فترة جاءني اتصال بحضور خطوبة الفتاة على الشاب المحترم كانت ليلة جميلة..

ربنا يسعدهم.

الدرفيل

كان يوما عصيبا منذ بدايته ،لم يستجب التوكتوك لمحاولات تشغيله العديدة، حتى نامت[١] البطارية ،تحرك أخيرا بعد عدة محاولات لدفعه[٢] وتشغيله ؛ وكان قد استهلك طاقة زوجتي والابن الأكبر في الدفع ،حتى دار الموتور أخيرا ،ثم صار يتوقف كثيرا ولا يعمل إلا بالمنافلة التي أتعبت ذراعي ذهبت إلى الكهربائي فقال البطارية فارغة وعاوزة تتغير ،كان " .... " صنايعيا مشهورا، لكنه لم يكلف نفسه إلقاء نظرة على البطارية أو بلاطة الشحن ، فتركته وذهبت إلى "الباشمهندس سيد " الكهربائي الشهير ،كان قد فتح باب الورشة تقريبا قبل حضوري بلحظات، شكوت له فألقى نظرة على البطارية وبلاطة الشحن واللاقط و الكونتاكت .

- كل حاجة سليمة يا أستاذ .
- طب والعيب فين يا هندسة ؟!

---

[١] فرغت من الشحن
[٢] زقه وتحريكه

أوعى يكون في السواق - قلتُها مازحا من غلبي!!

- قال : لا سمح اللّه يا أستاذ ، العيب في المارش.

أرسلني إلى محل قريب لقطع الغيار ،فاشتريت المطلوب وبدأ في فك المارش وإصلاحه ، كان قد استهلك وقتا طويلا في تغيير السوستة والبلية وعدة أشياء لا أعرفها ،ثم ركَّب المارش ووضع المفتاح ،فدار الموتور بسهولة وصوت مقبول شكرته ودفعت المطلوب مبلغا ليس بالقليل ،وتحركت أسعى على رزقي لأعوض ما خسرته من وقتٍ ومالٍ .

كانت تقف أمام "مول الطيب"[١] فتاة صغيرة وأمها نازلة تقريبا من عيادة بالمول فأشارت لي فتوقفت ،ثم هجمت عليَّ بقية الأسرة فامتلأ التوكتوك عن آخره ،خمسة أطفال في أعمار مختلفة ،وأمهم جلسوا في الكنبة الخلفية ولما بدأت في التحرك ،قالت الأم :

- انتظر .

[١] محلات تجارية في مدخل القنطرة

وإذا برجل ضخم الجثة يشبه "الدرفيل " يحاول الجلوس بجواري ،كان زوجها فقلت ناهرا له:

- رايح فين ؟!

- قال : معاكو .

- صحت فيه :

أنت عاملي كمين ولا إيه يا عم الحاج ؟!

رفضتُ التحرك خوفا على التوكتوك ، كان رجلا طيب القلب ويكثر الضحك بلا سبب .

- انزل يا حاج الوزن زيادة شوف توكتوك ثاني .

- قال : محدش هيوصلنا غيرك يا راجل يا طيب اتوكل على اللّه وربنا هيكرمك .

كانوا ذاهبين إلى "نمرة ٣ " قلت في نفسي لا ترفض التوصيلة ٢٠ جنيه مش وحشة وربنا يسترها ،تحرك التوكتوك بصعوبة بسبب ثقل الحمولة،ولحسن الحظ كان الطريق مرصوفا وتقل

به المطبات ،سرت على السرعة الثانية ثم بدلت الغيار الثالث ولم أزد السرعة ؛ لكن الحمل كان ثقيلا جداً على المساعدين والكاوتش ،وفجأة بالقرب من بنزينة الرياح ،انفجر الكاوتش الأمامي للتوكتوك فتوقف في الحال، ولحسن الحظ أيضا كنت أسير في جانب الطريق على الرصيف تقريبا وإلا لوقعت حادثة نزلتُ وأنا متضايق ونزل الرجل والأسرة كلها فقمت بفك الكاوتش وأحضرت الاستبن وطلبت منه رفع التوكتوك ؛ لتركيب الاستبن مكانه ، فضحك وقال:

- هو أنا قادر أشيل نفسي !!

نظرت إليه ضاحكا ،وقلت :

- طب ارحم نفسك ،وارحمنا حرام عليك !!
- طب أنا هأرفع التوكتوك ،وأنت تركب الكاوتش.

قمت برفع التوكتوك رغم ثقله ،وحاول هو عدة مرات تركيب الكاوتش ففشل حاولت السيطرة على غضبي ثم أخيرا رفعت

التوكتوك وطلبت منه وضع العجلة المخرومة واقفة تحت صدر التوكتوك ،وإسنادها بيده ففعل ،ركبت الاستبن وتحركنا على مهل ثم بسرعة متوسطة حتى وصلنا أخيرا إلى منزله ، نزلتْ الأسرة بعدما قمت بوضع الوالد بجوار زوجته في الخلف وركب الأطفال في الأمام معي ،وهنا حدثت مصيبة أخرى لم ألاحظها إلا عند عودتي ، فقد انكسر المساعدين الخلفي من الجهة التي ركب منها الدرفيل الضاحك قلت في نفسي:

- بقى عشان ٢٠ جنيه تضيع المساعدين وتغير الكاوتش .

الحمد للّه على كل حال ،

ونعوذ باللّه من حال أهل النار .

سوق الأربع[1]

في صباح يوم صيفي جميل صليت الفجر ثم تحركت سريعا طلبا للرزق ،كانت الطيور تملأ الدنيا غناء وتسبيحاً ،ونسمات الصباح تداعب الوجوه الشاكرة الراضية ،وكان يقف في الطريق جاري الصياد وتاجر السمك حائرا ، فقد تعطل " التروسيكل " الذي يملكه ،ويريد أن يلحق بسوق الأربع و معه الأسماك بأنواعها و كذلك صناديق الرنجة والفسيخ أوقفني :

- يا أستاذ تعال وصلني السوق وخذ ٥٠ جنيها.

كنت حائرا بين القبول والرفض ، المبلغ كبير لكن التوكتوك سوف يحتاج إلى غسيل بعد توصيله لإزالة رائحة الفسيخ والأسماك ،وافقت بشرط أن يضع بلاستيك مشمع في الأرضية . تحركتُ سريعا ووصلنا السوق مع تباشير الصباح كان الطريق متسعا في بدايته حوالي ٣٠ متر عرضا ومرصوف وعلى جانبيه يضع الباعة بضائعهم بأنواعها ؛ يفترشون

---

[1] سوق كبيرة تقام يوم الأربعاء من كل أسبوع

الرصيف ثم بدأ الطريق ينحسر ويضيق كلما أوغلنا[1] داخل السوق ،حتى صار ضيقا للغاية وهنا انحشر التوكتوك بين عشرات التكاتك المتوقفة ،التي لا تستطيع التقدم بسبب عودة غيرها من نفس الطريق وقطعها طريق السير ،كنا نتحرك بصعوبة ،فمرت ساعة تقريبا ولم نقطع سوى ٥٠ مترا توقفتُ ونزلتُ وتركتُ التوكتوك وحملتُ الصناديق مع الجار وأوصلتها للمكان الذي يفترش فيه بضاعته ،وأخذت الأجرة .

ظللت محاصرا قرابة الساعة ، دخل وقت العمل بالمكتب و بدأت الاتصالات تنهال عليّ :

- أنا في الطريق ،نصف ساعة وأوصل .

هكذا ظللت أرد على المتصلين حتى مرت ساعة أخرى ،أخيرا خرجتٌ من السوق بصعوبة بالغة هاتفني المدير قائلا : تم احتساب يوم عارضة لك .

---

[1] تقدمنا

لم أذهب إلى المكتب في هذا اليوم ؛حتى بعدما اتصل مرة ثانية مترجيًا قدومي لأمر هام في العمل ،كنت على وشك مغادرة السوق ،فأوقفتني سيدة معها ولد معاق بعدما اشترت ما أرادت من السوق وقالت :

- توَصَّــلني "منشية ... " يا ابني ؟

- قلت متسائلا :

و فين دي يا حاجة ؟

- ردتْ : سأصف لك الطريق.

كانت تقع خلف قرية أبو خليفة ،وأول مرة أذهب إلى هذا المكان ،منطقة زراعية تكثر بها أشجار المانجو والفواكه وأرضها جيدة الزراعة ؛ لكن طريقها ممتلئ بالحفر والمطبات

كان الطفل كثير الحركة يصدر بين الحين والآخر صرخة ؛ متضايقا من رائحة السمك التي ملأت التوكتوك ، وكنت متضايقا مثله .

أوصلتها أخيرا إلى بيتها المتواضع ،ولم آخذ منها شيئا .

ولما هممت بالانصراف ، قالت :

- استنى يا بني .

وأحضرت كيسا مملوءاً بالمانجو كانت قد جمعتها من الأشجار المزروعة أمام بيتها وأعطته لي فشكرتها ، وانصرفت .

في طريق عودتي وجدت عدة زبائن ،أوصلتهم إلى أماكن مختلفة داخل القرية وضواحيها .

نسيت المدير فلم أذهب إلى العمل .

عاتبني لما ذهبت في اليوم التالي ..

حكيت له ما حدث .

فعذرني ...

ولد نبيه و أمين..

بعد عدة محاولات وتوسلات ودموع ،وافقت أخيرا على شراء " تليفون اندرويد " لابنتي الكبرى بمناسبة التحاقها بالثانوية العامة ، تكلفت مبلغا من المال ،كانت سعيدة عندما ذهبنا إلى محل الجوالات الشهير بالقنطرة واشترينا الجهاز ،وبعدها أوصلتها إلى مدرستها الثانوية كنا قد تأخرنا قليلا ؛ فنزلت على عَجَلٍ لكنها نسَتْ التليفون على الكنبة الخلفية .

تحركتُ قليلا فأشار لي ولد صغير فتوقفتُ وبعدما صعد قال :

- يا عمو .. فيه تليفون على الكنبة.
- دي شكلها نسيته يا ابني .
- مين دي يا عمو ؟!
- بنتي نسيت تليفونها ،ونزلت درسها في المدرسة.

نظر لي نظرة متفحصة يختبر بها صدقي وقال:

- طب يا عمو ،رنّ عليه ولو رن خده.

بحثت عن تليفوني فلم أجده ،كنت قد نسيته في البيت

فقلت له:

- نسيت تليفوني في البيت فازداد شكَّه فيّ.

فقلت له :

- نروح لها وهي تفتحه قدامك لو مش مصدقني .

قال ببراءة وصدق :

- ما تزعلش مني يا عمو ،بس أنا مستعجل وماما هتقلق علي بس لي طلب عندك تروحني بسرعة .
- قلت له : أنت ولد أمين ،ولو حد غيرك كان خبَّى التليفون ولم ينبهني
- قال بصدق : نفسي حدثتني أخفيه عنك ،بس قلت حرام زمان صاحبه زعلان عليه ، وربنا هيزعل مني لو أخدت حاجة مش بتاعتي .

وصلنا إلى المدرسة فنزلت مصطحبا الطفل الأمين ،ولما اقتربت من ابنتي وجدتها منهارة من البكاء وزميلاتها تواسينها وتحاولن تهدئتها ،فلما رأتني قالت وهي تبكي :

- بابا .. التليفون ضاع .

أظهر الطفل التليفون من خلف ظهره ،وقال:

- هو ده ؟
- قالت : نعم هو .
- قال :طب افتحيه قدامي لو سمحتي .

وضعت إصبعها على البصمة ؛ فانفتح التليفون ثم أظهرت صورتها معي وهي تضمني سعيدة بالتليفون وأرته الصورة ؛ فضحك وضحكنا.

أوصلته إلى بيته بالقرب من "محل الطاحونة "

كانت أمه تنتظره في مدخل البيت باديا[1] عليها القلق والحيرة

[1] ظاهرا

توقفتُ ،قالت الأم :

- اتفضل يا أستاذ ....

نظرت فوجدتها زميلة لي في العمل كنت أعمل معها سابقا ،قلت لها :

- ربنا يبارك لك في ابنك الأمين الذكي .
- قال متعجبا: أنت تعرفيه يا ماما ؟
- أيوه الأستاذ .... زميلي في الشغل.
- وشغال على توكتوك يا عمو ؟
- أكل عيش يا حبيبي .

شكرته على أمانته وصدقه ،وشكرت والدته التي أحسنت تربيته وانصرفت.

اللهم كما ربيتنا ربي لنا أبناءنا يا كريم .

بتاع البانجو

في يوم الجمعة وهو يوم إجازتي الأسبوعية من الشغل ومن التوكتوك ، خرجت بعد صلاة العصر لشراء طلبات للبيت من القنطرة ، وما كدت أتحرك حتى وجدت قريبة لي واقفة في الطريق ، فأشارت لي وطلبت توصيلها إلى بيت أبيها في عزبة مجاورة مشهورة بانتشار المخدرات بها؛ لزيارة أمها المريضة ركبت فسألتها عن زوجها وصحته وأحواله فطمأنتني عليه ، وسألت عن أبيها وأمها فطمأنتني على أبيها وذكرت مرض أمها دعوت لها بالشفاء العاجل.

أوصلتها وفي الطريق مررنا ببيت جار لهم ، كنت أعرفه ، كان يقف أمام البيت مجموعة من النسوة يلبسن السواد ومعهم رجل غريب وشاب كنت أدرِّسه سابقا وأعرفه جيدا. وفي طريق العودة أشار الشاب فتوقفت ،صعد الرجل ولم تصعد النسوة، ركب معي وأنا مطمئن لأن من أشار لي هو الشاب الذي أعرفه

وفي هذه الأثناء كان ضابط المباحث قد نزل بحملة على العزبة ومعه بوكس البوليس محملا بالمخبرين وبالعساكر صار سائقو التكاتك يسرعون يمينا ويسارا ؛ هربا من البوليس ولكني كنت مطمئنا فلستُ من المهربين للمخدرات ولا أركّبِ معي من يقوم بتهريبها .

تعجبت أن البوكس لم يوقف أي من التكاتك التي أسرعت هاربة ولم يجري خلفها على غير العادة ؛ لكنه جاء أمامي وقطع علىَّ الطريق !!!

فتوقفت نزل المخبرون والضابط ،وكان من بينهم "عم ..... " المخبر وهو رجل طيب أعرفه ويعرفني جيدا ، فقد كنت أدرِّس أبناءه سابقا ، فقال للضابط :

- ده الأستاذ .... مدرس عيالي .

- فقال الضابط : طب اركن أنت على جنب دلوقتي .

توقفت جانبا وتجمعت كل القوة على الراكب معي ،ونزلوا فيه ضربا وتفتيشا ،أخرج ما معك فلم يجدوا معه شيئا فتركوه

ودخلوا العزبة ثم ركبتُ التوكتوك وتهيأتُ للتحرك ،فركب معي وأنا لا أشك فيه.

ثم قال بعد ضحكة طويلة ساخرة :

- ضحكت على ولاد الـ....

- تقصد مين ؟

- البوكس واللي فيه .

ثم أخرج من باطن قدمه كيسا ممتلئا بمخدر البانجو كان قد خبأها في حذائه ،

فتوقفت وقلت :

- انزل يا ابن الـــ... .

- فقال مهددا: بلاش غلط عشان ما ازعلكش .

- قلت له :

انزل وإلا راح أنادي عليهم ،هما ما راحوش بعيد.

لما أنت معاك مخدرات يا ابن الـ...،راكب معايا ليه ؟

العتب مش عليك العتب على الــ... اللي أنا أعرفه ويعرفني كويس ،وركبك معايا وهو عارف إنك شايل مخدرات .

خرج أحد الجيران على صياحنا فأنزله واصطحبه معه قائلا:

إيه اللي ركَّبك مع الأستاذ ؟!

رجعتُ مسرعا إلى بيت الشاب الذي أوقفني ليركب هذا المهرب معي، فتهرب الشاب مني وخرج والده ؛ فأخبرته بالموضوع ، فقال بلا مبالاة :

العزبة كلها شغالة في المخدرات .

- فقلت :

وأنا والله لن أركِّب معي من العزبة أحدا لا أعرفه بعد الآن.

الحمد لله الذي نجانا بفضله وكرمه وجوده.

سيادة الأمين !!

بعد شرائي التوكتوك بحوالي أسبوع ،ركب معي زبونا أوصلته للموقف الجديد بالقرب من إدارة المرور ،وعند عودتي كان الطريق مفتوحا ،ثم هدأت السرعة أمام المطب بالقرب من بوابة المرور ،فإذ بي أجد عسكري المرور الأمين ...

وهو مشهور بغلاسته على السائقين وتقليبهم ، فأوقفني و طلب أوراق التوكتوك والبطاقة فأعطيته الأوراق ، وأخبرته أن الماكينة جديدة وجاري عمل الترخيص من المرور ،فأصر على دخولي بالماكينة إلى المرور .

فرفضت طلبه ، وركنت التوكتوك خارج المرور ، وتذكرت أن لي أحد المعارف يعمل بالمرور فقلت له :

- التوكتوك ده تبع فلان باشا .

وذهبت إليه وأخبرته بالأمر ، فاستوضح مني:

- أين ركنت التوكتوك ؟

- فقلت : خارج المرور بالقرب من البوابة .

- قال خد التوكتوك وامشي وأعطيته رقم تليفوني .

بعد ساعة تقريبا اتصل بي وقال :

- روح المرور وكلم العسكري الموجود هناك هيعطيك الأوراق بتاعتك .

ذهبت كما أخبرني ، فناداني العسكري :

- أنت اللي تبع فلان باشا ؟

- قلت : نعم ، أنا اللي تبعه .

- قال : خد أوراقك ،وبلاش تمشي بالقرب من المرور تاني.

لم أسمتع إلى نصيحته ،وصرت أتعمد المرور أمام عسكري المرور الفاسد .

فعلا:

" اللي له ضهر ما ينضربش على بطنه "

ع النيابة .. بسرعة !!

بينما كنت خارجا من العمل في يوم طويل ممل،حدثت فيه بعض المضايقات من زملاء في الشغل ورؤساء في العمل ، ولكني التزمت الصمت و كظمت غيظي[١] لتجنب إثارة المشاكل،فخرجت متأخرا بعد تعنت مدير الإدارة في إخفاء دفتر الحضور والانصراف للتوقيع.

قدت التوكتوك وأنا لا زلت متأثرا بما حدث ولم ألاحظها وهي تشير لي إلا بعدما تخطيتها بأمتار قليلة ، ضغطت بشدة على الفرامل فأصدر الإطارات صوتا عاليا بعد احتكاكها بالأسفلت كأنما هي أظافر تخمش في جلد خشن فلا تؤثر فيه إلا تأثير ظاهرا ،رجعت إلى الخلف فرأيتها امرأة في الثلاثين تقريبا مهندمة الملابس جميلة المنظر متوسطة الطول ، تضع مكياجا هادئا وعطرا ساحرا بدا عليها القلق والترقب ربما تأخرت عن موعد ما.

---

[١] تملكت نفسي

ركبتْ معي :

- السلام عليكم .
- وعليكم السلام ورحة اللّه وبركاته ، يا ست الكل .
- ع النيابة بسرعة لو سمحت .
- فقلت مازحا : طب مش لما أعاكس الأول ،تبقى توديني النيابة .
- هههههههه .. أنا رايحة أحضر مع موكلي التحقيق في قضية.
- حضرتك محامية ؟
- أيوه وأنا متأخرة فبسرعة لو سمحت .
- حاضر .

حاولت أن افتح معها أي موضوع لتخفيف القلق الذي سيطر عليها كليا .

- المتهم ده هياخد براءة بإذن اللّه .
- ليه بقى ؟!

- عشان عرف يختار المحامي بتاعه كويس .

- قصدك إيه ؟!

- لو أنا وكيل النيابة هخلي سبيله على طول وأصرف له تعويض كمان .

- أنت بتهزر، دي قضيته ملعبكة ولو خد حكم مخفف يبقى يحمد ربنا .

- بس هل هو يستاهل خوفك وقلقك عليه ؟!

- طبعا مش موكلي ولازم أدافع عنه .

- ثم دي قضية لازم اجتهد فيها عشان سمعة المكتب .

- يعني حضرتك سايبة البيت وزمان جوزك مستني الغداء وبتجري ورا واحد تاجر مخدرات أو ....

- أنا مش متجوزة .

- بتهزري صحيح ؟!!!

- لا أبدا ، بتكلم جد .

- ليه هي الرجالة انطست في نظرها ،الجمال ده كله ما شاء اللّٰه ومحدش اتقدم ليكي .
- اللي اتقدموا كتير ،بس أنا لي شروط معينة ، ومواصفات في الراجل اللي هرتبط بيه .
- طب ممكن أعرفها ؟!
- ليه ناوي تتقدم لي ؟!!!
- يا ريت بس أنا في رقبتي كوم عيال وظروفي المالية والصحية لا تسمح.
- هههههههههه ، مع إنك وسيم وظريف وأي واحدة تتمناك.
- بتتكلمي جد ؟!!
- لا طبعا بهزر .

وصلنا إلى مبنى النيابة ، مبنى متهالك[1] كان يستخدم سابقا كمقر لقسم الشرطة ،وتم تحويله إلى مبنى للنيابة.

---

[1] مبنى قديم متصدع الجدران

نزلتْ ودفعتْ الأجرة ، وأسرعتْ إلى عملها فقابلها أقرباء المتهم على الباب بعد ترقب وقلق ،تملصت[1] منهم ودخلت مكتب وكيل النيابة .

سرحت بخيالي قليلا..........

هي الرجالة حصل لها إيه يا جدعان ؟!!

لهطة قشطة زي دي ومحدش عارف يلهطها .

عجبت لك يا زمن .

---

[1] تفلتت

أجيال مظلومة ...

انتشرت بين الشباب حلاقة الرأس مقلدة الممثل الشهير الذي يقوم دائما بأدوار البلطجة والفتونة ، وهي حلاقة جانبي الرأس وترك بقية الرأس بلا حلاقة (قزع[1]) .

كنت عائدا من المجاورة السابعة وأوقفني أحد الشباب السابق وصفهم ، طلب توصيلة إلى مركز شباب القنطرة ؛ حيث يعمل في كافيتريا مع خاله كما ادَّعى .

وفي الطريق توقفنا أمام سوبر ماركت ،

نزل واشترى "سجاير فرط" وعاد يشتكى من غلو أسعار السجائر !!

قلت مندهشا :

- أنت لسه شاب صغير .

ليه تضيع صحتك على السجائر ؟!

---

[1] وهي حلاقة منهي عنها ومحرمة

- يا جِدّو ، أنا أحسن من غيري ، ده أصحابي بيشربوا شابو[1] !!
- طب وهي دي شطارة يعني ؟
ثم أنت ابن ناس وجدك راجل طيب وأنا أعرفه كويس ، وأنت كمان بتشتغل يعني عارف المسئولية وحاسس بيها .. صح ؟
- احنا جيل مظلوم يا حاج ،مفرومين ومحتارين لا عارفين نتعلم تعليم محترم ، ولا عارفين نشتغل شغلانة كويسة !! ومعظمنا بيهرب من الواقع إلى المخدرات أو الألعاب زي لعبة بابجي ، ولعبة فري فاير .

صدمني كلامه !!

فعلا جيل مظلوم لم يأخذ نصيبه من التربية والاهتمام .

الآباء مفرومين ومطحونين في عدة أعمال لتوفير لقمة العيش والأمهات كذلك تركن المنازل ونزلن للعمل لمساعدة أزواجهن رغبة في تحسين دخل الأسرة .

---
[1] مخدر مدمر لخلايا المخ

لم يبخل الآباء والأمهات على أبنائهم، ولكنهم أهملوا في تربيتهم ، ولم يرشدوهم إلى الطريق الصحيح .

إضافة إلى رفاق السوء .

فعلا شباب في خطر شديد..

اللهم كما ربيتنا ، ربِّي لنا أبناءنا يا كريم ..

العجوز المتصابية

كنت متوقفا في ليلة الجمعة أمام أحد صالات الأفراح ، بينما كان بالداخل حفلة صاخبة ، ثم خرجت أسرة كاملة أربع نساء وعدة أطفال ، طلبوا توصيلهم " عزبة ..." ركبت النسوة الثلاث بأطفالهن على الكنبة الخلفية وركبت امرأة عجوز متصابية بجواري .

تحركتُ ...

فبدأْنَ بالغناء والتصفيق ، تغني العجوز وترد عليها النسوة والأطفال ، كانت المرأة تلتصق بي فأدفعها بكوعي بعيدا عني فتعاود الكرة ثم تحولت في غنائها إلى كلمات قبيحة وأغاني إباحية ...

" ع السرير النحاس ، أهي ليلة وخلاص ، تعيطي تصوتي هيــ......... "

وتطيل في الكلمة الأخيرة بغنج[١] وميوعة .

---

[١] خلاعة ومجون

والنسوة في الخلف يضحكن بصوت عالٍ في وقاحةٍ ؛ فنهرتها :

- احترمي سنك يا وليَّة ، عيب عليكي اللي بتقوليه ده .

- هههههههه أنت بتتكسف واللا إيه يا عسل ؟

- لو ما احترمتوش نفسكم هنزلكم هنا !!

تصايحت النسوة في الخلف فخفت أن يرموا بلاهم عليَّ ، فسلمت أمري للّه وأكملت المسير في الطريق، دخلنا في طريق ملتوٍ وضيقٍ ،والبيت متطرف في آخر الشارع ، بيت متواضع مبني من الطوب الأبيض في أرض كانت بركة وتم ردمها والبناء عليها لما اقتربنا من المكان هاجمنا أسراب من الناموس وحشرات الليل تجمعت على ضوء كشافات التوكتوك ، نزلت النسوة ثم العجوز الشمطاء وإذ بها تشدني للبيت وتعزم علىَّ :

- لازم تنزل تشرب الشاي يا عسل.

قلت لها :

- سيبيني في حالي أنا ما بحبش الشاي أساسا.

- طب بتحب إيه وأنا أجيبهولك يا حبيبي ؟

كانت ضحكات النسوة ترتفع فتشق صمت الليل وسكونه بلا حياء ولا خجل ، تحركت بالتوكتوك وهي ممسكة بالحديد تصيح وتصرخ فزدت السرعة ثم دفعتها برجلي فوقعت على الأرض تسب وتلعن .

حمدتُ اللّه على نجاتي من هذه الحيزبون[١] المتصابية .

ربنا يحسن ختامنا .

[١] العجوز القبيحة

الجـثة[1]

بينما كنت عائدا من توصيلة بالمجاورة السابعة ، كان واقفا أمام بوابة سوداء شاب في الثلاثين من عمره يسند امرأة ملفوفة في بطانية حمراء ، أشار لي فتوقفت ، بدا على وجهه الاضطراب والخوف .

- خير يا باشا ؟!
- المدام تعبانة وعاوزك توصلنا مستشفى أبو خليفة بسرعة وهاديلك اللي تقول عليه .
- طب ليه مطلبتش لها الإسعاف ؟
- طلبت بس الخط مشغول ومحدش بيرد على !!

كان الوقت قبيل المغرب بقليل.

أسندَ المدام على الكنبة الخلفية ثم جلس بجوارها غارقا في القلق والخوف ، تحركت مسرعا في اتجاه المستشفى الذي يبعد حوالي ١٥ كيلو متر عن المكان .

[1] حدثت لزميل لي في المهنة وأنا أصيغها بقلمي

تكلمت معه لأطمئنه وأخفف من قلقه ،لكني لاحظت أن المدام صامتة تماما ولا تصدر منها أي حركة أو صوت فساورني الشك ، كان الطريق طويلا والشارع مزدحم بالسيارات والتكاتك فالكل عائد من أعماله ومتوجه إلى منزله بعد يوم صيفي طويل .

وصلنا أخيرا إلى المستشفى ، فاقتربت من البوابة الرئيسية للدخول ومررنا ببائع للشاي سلمت عليه فرد التحية ، هدأت السرعة وإذا بالراكب معي يفر هاربا ويترك زوجته في التوكتوك ، لاحظ عامل البوفيه هروبه ، نظرت في الخلف فوجدت التوكتوك غارقا في الدماء التي تسيل من جسد الزوجة المقتولة ، أصابتني حالة من الذهول والخوف والرعب حاولت الاستنجاد بأمن المستشفى الذين تركوا الزوج وأمسكوا في خناقي ، تجمع الناس حولي من كل مكان وتعالت الأصوات والصرخات واللعنات وحاول بعضهم أن يبطش بي ، لكن عامل البوفيه تدخل بسرعة وأدلى بشهادته وأوصاف الزوج الذي

هرب من التوكتوك ، حضرت الشرطة وتوجهنا للقسم لأخذ شهادتنا ثم إلى النيابة وتم التحفظ على التوكتوك ، قمت لاحقا بإخراجه من القسم بصعوبة وواسطة.

قامت المباحث مشكورة بسرعة القبض على الزوج واعترف بأنه قتلها بمساعدة أخيها بعدما شك في سلوكها .

حمدتُ اللّه على السلامة والنَّجاة .

أبو يوسف

بينما كنت عائدا من توصيل زبون إلى "عزبة ...." وهي عزبة في الضواحي الجنوبية لمدينة القنطرة وتشرف على طريق معدية السيارات إلى سيناء .

رأيته من بعيد واقفا أمام " مول امطير "[1] شاب تجاوز الأربعين تقريبا يلبس جلبابا بلديا سمني اللون وعمامة بيضاء على رأسه أشار لي ،فتوقفت :

- على فين إن شاء اللّه ؟
- قال : أبو يوسف .
- قلت مستغربا:
- وفين دي ؟!
- قال: في الشرقية .
- قلت : أنا ما بروحشي الشرقية ، انزل لو سمحت .

[1] سوق تجاري عند مدخل القنطرة الجنوبي

- صرخ : لا مش نازل غير لما توصلني الشرقية ، زي ما قال لك أبو يوسف .

- يا عم أبو يوسف مين اللي بتقول عليه ، محدش قاللي حاجة .

- طيب بص بقى

أنا هوصلك لغاية " كمين الشرطة " وهو كمين على بعد ٢ كيلومتر من أول الطريق المؤدي إلى محافظة الشرقية ، ومن هناك هخليهم يوقفولك أي عربية رايحة الشرقية ، ماشي الكلام .

- قال : اللي تشوفه .

كانت لهجته شرقاوية ، وفي الطريق لاحظت أنه يتكلم بصوت مسموع ،ظننته يكلم أحدهم في التليفون ،لكن حانت مني نظرة في المرآة فلم أجده يحمل تليفونا ،كانت حالته غريبة فقد كان يضحك ثم يبكي ثم يرفع صوته ثم يخفضه ويقول:

- اللّه يسامحك يا أبو يوسف .

- قلت مستغربا : من هو ؟!

- قال ألا تعرفه ؟

- قلت له : لا .

- قال اللي وقفك وركبني معاك ،وحاسبك على المشوار كمان .

- قلت في نفسي: آآآآآه ده شكله نصاب ،عليه العوض في الأجرة، يا عم ما فيش حد غيرك وقفني ولم يحاسبني أحد على المشوار.

صرخ فيَّ :

- أنت كمان هتكذب وأنت راجل كبير ؟!

كنت قد اقتربت من كمين الشرطة

- قلت: انزل .

فرفض النزول قائلا :

- لا مش نازل غير لما تجيب الفلوس اللي دفعها لك

أبو يوسف .

وصار يصرخ ويتعلق بحديد التوكتوك محاولا قلبَه .

قلت :

- خلاص اصبر .

وتوقفت أمام الكمين فلما رآه كل من في الكمين غرقوا في الضحك المرتفع بشكل هستيري ولم يتدخل أحد منهم .

- قلت : انزل اللّه يرضى عليك .

وشفقتُ به ،حاولتُ السيطرة على نفسي حتى لا أعتدي عليه.

حتى جاء أخيرا شرطي كبير قائلا:

- انزل يا أبو يوسف.

فنزل معه في هدوء.

قال الشرطي:

- هو أنت وقعت معاه ،ده مريض نفسي وكل يوم يجي هنا راكب توكتوك شَكْل ،وتحصل نفس الخناقة ، مرة يضربوه ومرة ينزل من سكات، استعوض ربنا في الأجرة.

- قلت :

الحمد للّه .

اللهم احفظ علينا عقولنا .

اللّه يشفيك يا أبو يوسف .

ع القسم ... وديني !!

كان يومًا عجيبًا حقا ذهبت إلى قسم الشرطة مرتين في أوقات مختلفة مع اثنتين من الركاب ، وكان سبب ذهابهن تقديم شكوى في الزوج لسوء المعاملة ، قلت في نفسي :

- هي الرجالة جرى لهم إيه ؟ و النسوان حصل لها إيه ؟

الحالة الأولى :

كنت خارجا من قرية الرياح عن طريق التُرعة الكبيرة كما نسميها في بلدنا " ترعة الإسماعيلية" في اتجاه القنطرة غرب لاحظت وقوف عدة نساء بجانب الطريق يحاولن جذب[1] إحداهن من يدها وهي تحاول التملص[2] منهن ، أشارت لي فتوقفت :

- خير يا أهل اللّه ؟

- وصلني قسم الشرطة يا حاج .

وانهارت في البكاء ، رق قلبي لها وحاولت تهدئتها .

---

[1] شدها وامساكها

[2] التهرب والتخلص

- ليه يا بنتي كفى اللّه الشر ؟
- جوزي يا عم الحاج ضربني وأهانني قدام العيال والجيران قاعد من غير شغل وأنا اللي باشتغل وباصرف على البيت
- هو عيان لا سمح اللّه ؟
- لا يا حاج صحته زي البمب ، كان شغال في الحي التجاري وصاحب المحل سرح العمال اللي عنده بعد وقف الحال اللي حصل للسوق .
- طب يا بنتي استحمليه شويه ده برضك جوزك وأبو عيالك وملكيش غيره ، طب عشان خاطر عيالك ، ما تخربيش على نفسك ،وهو القسم هيعمل لك إيه يعني، وهتستفيدي إيه من حبسه ؟

حاولت تهدئتها لعلها تتعقل ، لكنها كانت مصرة على الذهاب وتقديم الشكوى ضده في القسم .

عجيب أمر النساء إذا أحببنَ بذلنَ كل شيء وإذا أُهِنَّ نسينَ كل معروف.

وتذكرت قصة قد قرأتها عن إحدى الجوارى التي أحبها أحد الخلفاء؛ فتزوجها وأغدق عليها لدرجة أنه كان لا يرفض لها طلبا أبداً ، وكانت قد طلبت منه أن تلعب في الطين مع الجواري كما كانت تفعل وهي صغيرة مع صويحباتها فأمر بتجهيز بركة من المسك والزعفران في حديقة القصر ونثر عليها اللؤلؤ والجواهر وتركها تلهو وتلعب مع الجواري في سعادة وبهجة .؛ ثم لما أغضبها في أحد الأيام قالت له :

- لم أرَ منك خيراً قط في يوم من الأيام .

فردَّ عليها قائلا :

- ولا يوم لُعْبَكِ في الطين ؟!

الحالة الثانية :

كانت عائدا من عزبة الصعايدة إحدى ضواحي القنطرة غرب شابة في الخامسة والعسرين تقريبا فارعة الطول واقفة في الطريق تبكي قرابة الحادية عشرة مساءً ، أشارت فتوقفت :

- وديني المركز يا عم الحاج لو سمحت .

- خير يا ست الكل ، ليه بس ؟!

لاحظت كدمات أسفل عينها اليسرى وتورم في خديها دليل ضرب على وجهها .

- رايحة القسم أعمل محضر في جوزي وأمه و أخواته، أنا غريبة وساكنة هنا وهو فارض علي خدمة أمه وأخواته وطالع عيني في خدمتهم ومش عاجبهم كمان ولما اشتكيت له ضربني وطردني برة البيت في الساعة دي،أنا مش ملزمة بخدمتهم ، أنا بنت ناس برضك يا حاج .

- طب ملكيش حد هنا تروحي عليه الأول ؛ عشان يتدخل بينكم ويحل الموضوع بدال البهدلة في الأقسام ؟

- أنا غريبة وأهلي في الصعيد ومليش حد هنا أشتكي له .

كانت تبكي بحرقة وتشكو من أخوتها الذين زوجوها رغما عن إرادتها لرقة حالهم ولم يراعِ زوجها حقها الذي فرضه اللّه عليه من المعاملة بالمعروف، لم أدرِ ماذا أفعل لمساعدتها سوى توصيلها للقسم ونزلت معها وأوصيت جاري الأمين ....

وهو رجل طيب ومحترم - بعمل اللازم لها .

انصرفت متعجبا من حال الرجال الذين لا يراعون اللّٰه في زوجاتهم .

وقد أوصانا النبي " صلى اللّٰه عليه وسلم " بهنَّ خيراً في آخر وصاياه :

"واستوصوا بالنساء خيرا[١] ... "

---

[١] ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوانٌ عندكم . ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة . فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرِّحٍ . فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا . ألا إنَّ لكم على نسائكم حقًّا . ولنسائكم عليكم حقًّا . فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطَئنَ فرُشَكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وحقُّهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن "حديثٌ حسن " .

امسك حرامي

بعدما اشتريت التوكتوك بفترة قصيرة لم يكن عندي جراج أو مكان أركن التوكتوك فيه ؛ فاضطررت إلى ركنه عند أحد الجيران مع توكتوك أبنائه وتناوبنا الحراسة سويا ، ولما دخل الشتاء واشتد البرد وطال الليل غلبني النوم ففوجئت في الصباح بسرقة اطار التوكتوك ،وكان اللص كريما معي فقد سرق فردة كاوتش واحدة وترك لي الفردتين الأخريين كما ترك صواميل الكاوتش بجواره .

استعوضت الله في مصيبتي وقمت بتركيب الاستبن ثم اشتريت إطارا جديدا بمبلغ محترم في حينها.

قمت بعدها بقطع شجرة العنب التي تسد الطريق أمام البيت حتى أتمكن من ركن التوكتوك تحت شباك غرفة نومي وقمت بتقييده بسلسلة ضخمة في جذع الشجرة ملتصقا بجدار البيت حتى لا يتمكن اللص من رفع التوكتوك وسرقة الإطار مرة أخرى .

ثم حدثت المعجزة...؟؟!!

قبيل صلاة الفجر بنصف ساعة في يوم ربيعي استيقظت على صوت نباح كلب الجيران المرتفع ثم سكت فجأة فتوضأت وخرجت لصلاة الفجر ففوجئت باللص ممسكا بفردة الكاوتش الجديدة بعدما قام بفكها وتعجبت كيف رفع التوكتوك وسحب الفردة دون أن يُحدِث صوت؟!!

صرخت به قف مكانك فتجمد[1] في مكانه وإذ به ابن أحد الجيران ، كان بعض الجيران قد استيقظوا لصلاة الفجر فناديت بعضهم لمشاهدة اللص بجرمه ، اقترح بعضهم إبلاغ الشرطة؛ لكني رحمةً بوالده المريض عفوت عنه ، بعدما حذرته لو حدثت أية سرقة في المنطقة فسوف أبلغ الشرطة عنه ومعي الشهود على ذلك ، وطلبت منه تركيب الكاوتش كما كان ففعل .

بعد ذلك نمت قرير العين[2] فقد وجدت من يحرس لي

---

[1] ثبت
[2] مرتاحا

التوكتوك أثناء نومي ..

عجبت لمثل هؤلاء الشباب الذين يضيعون عمرهم بلا عمل فينامون طوال النهار ثم يسطون[1] على جيرانهم فلا يراعون حق الجيرة ولا حرمة السرقة ولا سطوة[2] القانون .

وتذكرت مقولة سيدنا عمر بن الخطاب : إني لأرى الرجل يعجبني فإذا كان بلا عمل سقط من عيني.

اللهم كما ربيتنا ربي لنا أبناءنا

وابعد عنهم رفاق[3] السوء يا كريم.

---

[1] يسرقون
[2] قوة وهيبة القانون
[3] أصحاب

عشر سجاير فرط

بينما كنت داخلا سوق الخضار لتوصيل زبون ، أوقعني حظي التعس في الوقوف أمام تاجر بالسوق لا أعرفه ،وما إن توقفت حتى أمسك بخناقي وصاح :

- التوكتوك ده مش هيتحرك من هنا !!
- طب ليه كده يا معلم ؟!!
- لازم تروح تشتري لي سجاير من محل " .....[1] " لاحظت ثقلا في لسانه فأدركت أنه من الذين يتناولون المخدرات ، اشتريت نفسي زي ما بيقولوا وأخذت منه ثمن السجاير وتركت التوكتوك أمانة عنده وذهبت ماشيا إلى المحل المذكور فوجدت امرأة تجاوزت الخمسين نحيلة معروقة الوجه والرقبة والذراعين خمرية البشرة ، ذات لسان سليط[2] .
- صباح الخير يا ست الكل .

---

[1] وهو محل للدخان ومستلزماته

[2] فاحش بذيء

- صباح الزفت .
- المعلم ..... بيصبح عليكي وبيقول لك عاوز عشر سجاير فرط وبعت لك الفلوس دي معايا " حوالي ٢٥ جنيه ".
- داهية لا تصبحه على الصبح ، السجاير ب ٣٠ جنيه .

ثم فتحت علبة سجائر وعدت منها عشرة وألقتهم على ترابيزة أمامها وصاحت :

- خد لك علبة فاضية من الكوم ده وعبي فيهم السجاير .

أسلمت أمري للّه وناولتها الثلاثين جنيها بعدما وضعت خمسة جنيهات من جيبي وعدت راجعا إلى المعلم .

- خد يا معلم السجاير أهه ،بس أنا حاطط من جيبي خمسة جنيه كمان.

غضب وزمجر وصاح وبدأ في وصلة سباب استمرت مدة من الزمن ثم قال :

- تعالى معايا نرجع لها بنت الــ....

ركبنا التوكتوك ثم ذهبنا لمحل السجائر فنزل واشتبك مع المرأة في سباب متواصل وكانت المرأة تكيل له سبابا يخدش الحياء العام .

انتهزت فرصة انشغالهما ووليت هاربا بالتوكتوك واستعوضت ربنا في الخمسة جنيه

والوقت الذي ضاع مني .

فعلا التدخين ضار جدا بالصحة ..

وبالجيب كمان ..

الفـهـرس

نبذة عن المؤلف



- معلم بالتربية والتعليم منذ 1991.

- أستاذ ورئيس قسم منذ 2013 .

- كاتب وشاعر وزجال ..

- نشر في العديد من الصحف والمجلات الإقليمية والعربية .

01029833708

dosokyhassan@gmail.com